اهتمام الرسول الرابط الذهني الفكري بين الرمز اللغوي (الدال)

ودلالته (المدلول) (تحليل دلالي)

☜إعـداد

د. عبد العزيز بن سالم الصاعدي

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

كلية اللغة العربية (قسم اللغويات)

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد: فإن هذا البحث يتناول جزئية الجانب الفكري والذهني بصفته رابطاً بين الدال والمدلول، بين الرمز اللغوي وبين مدلوله وصولاً إلى صورته في الأعيان التي تمر عبر صورته في الأذهان، ليتم تصويره وتَصوُّره بمطابقة ما في الأعيان عبر تصوره في الأذهان، والروابط الفكرية الذهنية في كل ذلك. تلك عناصر الدرس هنا، ولذا جاء هذا البحث بعنوان: (الرابط الذهني الفكري بين الرمز (الدال) ودلالته (المدلول)

حيث يتناول الأسس العامة، والمدخل لدراسة القضية. ثم تناول القدماء لها سواء أكانوا لغويين أم غير اللغويين، وخصوصاً لدى الأصوليين الذين برعوا في هذه القضية هنا، وفي المنهج اللغوي المنضبط الذي خدموا به لغة النصوص الشرعية ابتغاء تنزيل دلالاتها. فعاد ذلك على اللغة ومناهجها بعميم النفع.

وقد جاء البحث في ثلاثة مباحث يسبقها مدخل، وتعقبها خاتمة موجزة.

أما المدخل فناقش الأسس العامة والإطار الذي يُوصِّف ويُشخِّص طبيعة القضية ويهيئ لطرحها في المباحث الثلاثة التي اشتمل عليها البحث.

المبحث الأول: يتناول الجانب الفكري الذهني عند القدماء من لغويين وغيرهم كابن سينا، والغزالي، الأصوليين، مع التركيز على الأصوليين وابن سينا من الفلاسفة وعلماء اللغة كنموذجين مطروحين.

لمبحث الثاني: يناقش القضية عند المحدثين، وعلماء اللغة والاتصال، والمباحث التي أشاروا إليها.

المبحث الثالث: قضايا جوانب ارتباط الجانب الذهني والفكري في علاقة الدال بالمدلول، وقد اخترت ستاً من القضايا لبحث الروابط الذهنية والفكرية فيها ومن خلالها بين الدال اللغوي والمدلول وهو المتصور الذهني الفكري.

وقد حاولت تحليل هذه الجزئية في هذه القضية اللغوية بتوصيفها، ثم بتصورها لدى القدماء ومناقشتهم في هذا، ومحاولة تسجيل تلك النقاط المضيئة لديهم من أصوليين وعلماء لغة ومناطقة وغيرهم، مع شيء من الموازنات والاستنباطات.

ثم تناولت القضية لدى المحدثين والمدارس اللغوية والدلالية محاولاً الربط بين نتائج دراستهم وجهود القدماء، مذكراً بالقضية لدى السلوكيين و"بلو مفيلد" موضحاً موقفهم، ومعرجاً على اللغة والفكر، والدال والمدلول فيهما، وأغراض اللغة التواصلية، وكيف تتم وتجلية الجانب الفكري فيها مع محاولة رصد الجانب الذهني في تطور دلالة المفردات، وكذا قيمة التوقع والتهيوء ومبدأ التعاون بين طرفي الرسالة وقيمة الشك فيها دلالياً، وغير ذلك من جوانب تلك القضايا ذهنياً وفكرياً مع توظيفها لخدمة غرض البحث.

وكل ذلك بتوصيف ومقارنات ومحاولة رصد النتائج وتحرير القضية.

معتمداً على جملة صالحة من مظان المادة وتحليلاتها، مستنيراً ومستبصراً بآراء العلماء والباحثين لمحاولة تفتيق هذه القضية الدقيقة ذات الطبيعة الذهنية والفكرية والتي تجتمع فيها مناهج علم اللغة، والدلالة،

والمعجم وغيرها من العلوم الأخرى غير اللغوية كالفلسفة، والمنطق، وعلم الكلام.

والله الموفق للصواب ومنه نستمد العون.

مدخل عام: في طبيعة قضية الرابط الذهني الفكري بين اللفظ ومدلوله في ضوء طبيعة اللغة.

العلاقة الذهنية النفسية الفكرية التي تربط بين الرمز اللغوي ذي الطبيعة الصوتية، أو الخطية وبين دلالته وما يثيره في الذهن فيها جانب نفسي، ولكنه جانب نفسي ذهني فكري عام في الجانب اللغوي يتمثل في كيف يستثير الرمز اللغوي الدلالات في الأذهان[1].

فارتباط الاسم بالمسمى، والدال بالمدلول شأن فكري له جوانب لغوية وأخرى غير لغوية عقدية وفلسفية، وهكذا انتقلت اللغة من ظاهرة انفعالية بسيطة إلى أن تدخل في وجود الإنسان المادي والحضاري، والمعنوي حتى أصبحت معبرة عن حياة الفرد والمجتمع[2] تُوجِّهها، وتظهر من خلالها اللغة

---

(١) ينظر: التمهيد في أصول الفقه ٣٥١/٢، تأليف الكلوذاني، دراسة وتحقيق: مفيد محمد أبو عمشه، دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ-١٩٨٥م، ومدخل إلى اللغة واللسانيات، ترجمة حمزة المزيني، للفصلين الأولين من كتاب (مقدمة في اللغة واللسانيات، لجون لاينز، مجلة كلية الآداب، جامعة الملك سعود، المجلد ١٤، العدد الأول، ص١٦٦، عام ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، الناشر: عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود، الرياض.

(٢) ينظر: الإحكام في أصول الأحكام ١١/١، ودروس في السيميائيات، ١٦.

ظاهرة انفعالية في منشأها. ثم استطاع رقي الإنسان الفكري أن يُطوِّع هذه الأداة الانفعالية بعقله وفكره، بحيث سخَّرها في خدمة تفكيره بعد أن كانت ترجمان العواطف والانفعالات. فأصبحت هذه اللغة أداةً حضارية للسيطرة والاحتواء والتواصل والتعامل، وأصبح كل شيء له علاقة باللغة حتى غدت اللغة تمثل جانب الحياة في الإنسان وبها يمارس أنشطته الحياتية، وأصبح كل شيء في الحياة له علاقة باللغة، "وله فيها رمز وتسمية؛ بحيث لا يمكن للإنسان أن يمارس علاقاته بالأشياء دون استحضار رموزها اللغوية. إن الاسم هو الوجود اللغوي الذهني للمسمى، على حين يمثل المسمى نفسه جانب الوجود المادي فكان لكل موجود حالتين: حالة الوجود المادي في الطبيعة، وحالة الوجود الإنساني في اللغة"(١).

فاللغة دخلها التطوير والتَّطور المستمر منذ أن عرفها الإنسان واستخدمها لتنبئ عن أغراضه، ومعانيه النفسية حتى أصبحت هي وسيلته في الحياة الاجتماعية، وهكذا طور الإنسان العلاقة بين الاسم والمسمى بالرباط العقلي والاستحضار الذهني مما حدا بالباحثين أن يربطوا ربطاً وثيقاً بين اللغة والفكر رابطاً يساير طبيعتهما في سلوك الإنسان المفكر باللغة، والمفكر عبر اللغة، والذي ينمي فكره باللغة حتى أصبح إنساناً مترقياً مُتَحضِّراً مسجلاً نتاجه العلمي والحضاري عبر لغته(٢).

لقد "استطاع الإنسان أن يضع رمزاً لكل شيء يتعلق بتصوراته وعلاقاته

---

(١) ينظر: علم اللغة العام عبد الصبور شاهين، ٩٥، وينظر: موسوعة اصطلاحات العلوم الإسلامية، المعروف: بكشاف اصطلاحات الفنون ٣٩١/٢، للتهانوي، منشورات شركة خياط للكتب والنشر، بيروت، لبنان.

(٢) ينظر: علم اللغة الاجتماعي، ٣٩، ١١٩-١٢٢، ١٥٣.

وبالتالي أمكنه أن يتخذ منه موقفاً معيناً عند الاقتضاء بحيث يستطيع أن يستحضره في ذهنه إذا ما أراد، فالتفكير وحركته ذات ارتباط وثيق باللغة فلا يستطيع الإنسان أن يفكر إلاَّ إذا صاغ عناصر فكرة في قوالب لغوية، وترجمها إلى رموز لغوية من المستوى الذاتي الحيواني إلى النفسي الإنساني"[1].

والسيطرة على اللغة سيطرة على الفكر؛ لأن الفكر لغة داخلية يمكن توصيلها إلى الغير. وهذا يجعل اللغة والفكر مشاعان في المجتمع؛ لأن الوعي الإنساني مرتبط باللغة. والمنطق الفكري هو تصوير النفسي لمعاني الأشياء الخارجية. والتفكير له عناصر مرتبطة ارتباطاً خاصاً باللغة فلا يمكن التفكير خارج قوالب اللغة؛ فلكي تستطيع التفكير بوضوح لابد أن تضع فكرك في قوالب لغوية[2].

وعندما يعبر الإنسان عن نفسه وفكرة باللغة يكون قد تجاوز المستوى النفسي الحيواني إلى المستوى النفسي الإنساني، وذلك ثمرة جهوده الدائمة للسيطرة على اللغة فالمستوى الإنساني للوعي مرتبط باللغة؛ وذلك لأن الفكر لغة داخلية فهو لذلك قابل للتوصيل؛ ولأن الجانب النفسي وهو إدراك أحوال الوعي والشعور قد بدأ يتكون، ويتشكل وتصبح اللغة وسيلة لإيصاله، وأما المنطق

---

(١) علم اللغة العام عبد الصبور شاهين، ٩٥، وينظر: كتاب المحصول في علم أصول الفقه ١٢/١، ١٣ للآمدي، وبيان المختصر لشرح مختصر ابن الحاجب ١٥٥/١، للأصفهاني، وحوليات كلية الآداب بجامعة عبد شمس، المجلد ٨، ص ٩١، القاهرة، مطبعة جامعة عين شمس، ١٩٦٣م.

(٢) ينظر: الجوانب الدلالية والفكرية في الدائرة اللغوية الكلامية، ٢٤٦١، ٢٤٦٦، حولية كلية اللغة العربية بالزقازيق، عدد ٢٩، عام ١٤٣٠هـ.

الفكري الذي هو أمر معقول، فهو تصور النفس معاني الأشياء ذاتها، ورؤيتها لرسوم المحسوسات في جوهرها، وتمييزها لها في فكرتها، وبهذا النطق يُحَدّ الإنسان، فيقال إنه حي ناطق مائت، فنطق الإنسان وحياته من قِبَلِ النفس، وموته من قِبَلِ الجسد؛ لأن اسم الإنسان إنما هو واقع على النفس والجسد جميعاً، واللغة تعبر عن هذه النفس والعقل الذي هو جوهر الإنسان، واعلم أن النظر في هذا النطق، والبحث عنه، ومعرفة كيفية إدراك النفس معاني الموجودات في ذاتها بطريق الحواس، وكيفية انقداح المعاني في فكرها من جهة العقل، الذي يسمى الوحي والإلهام وعبارتها عنها بألفاظ بأي لغة كانت، يسمى علم المنطق الفلسفي(١).

ومعرفة كيفية الإدراك الذهني لدلالات الموجودات في الخارج، وكيف يتم الربط الذهني وينقدح المعنى في الفكر عن طريق الرمز اللغوي، ناحية لغوية نفسية فلسفية(٢).

يقول إخوان الصفا: "ولما كان المنطق اللفظي أمراً جسمانياً ظاهراً جلياً محسوساً، وضع بين الناس لكيما يعبر به كل إنسان عما في نفسه من المعاني لغيره من السائلين عنه. والمخاطِبين له، احتجنا إلى أن نذكر من هذا المنطق طرفاً يشبه المدخل، ليقرب على المتعلمين فهم علم المنطق الفلسفي، ويسهل تأمله على الناظرين؛ فنقول أيضاً: إنّه لما كان النطق اللفظي هو

---

(١) ينظر: اللسان والإنسان ٢٨، ومنطق أرسطو ١/١٠٠، ١٠٣، تحقيق عبد الرحمن بدوي، نشر وكالة المطبوعات، الكويت، ودار القلم بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٩٨٠م.

(٢) ينظر: منطق أرسطو، ١٠٣، والشفاء، المنطق، ٣، العبارة لابن سينا، ص ٣، تحقيق محمود الخضيري، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، عام ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م.

ألفاظ مؤلّفة من الحروف المعجمة، احتجنا أن نذكر الحروف أولاً، فنقول: إن الحروف ثلاثة أنواع: فكرية، ولفظية، وخطية، فالفكرية هي صورة روحانية في أفكار النفوس مصورة في جواهرها قبل إخراجها معانيها بالألفاظ، والحروف اللفظية هي أصوات محمولة في الهواء، فمدركة بطريقة الأذنين بالقوة السامعة، كما بيّناه في الحاس والمحسوس، والخطية هي نقوش خُطّت بالأقلام في وجوه الألواح وبطون الطوامير، مدركة بالقوة الباصرة بطريق العينين"[1].

ويقولون أيضاً: "واعلم أن الحروف الخطية إنما وضعت سمات ليستدل بها على الحروف الفكرية، والحروف الفكرية هي الأصل:

إنَّ الكَلاَمَ لَفِي الْفُؤَادِ وَإِنَّمَا جُعِلَ اللِّسَانُ عَلَى الْفُؤَادِ دَلِيْلاَ[2]

واعلم أن الحروف إذا أُلِّفت صارت ألفاظاً، إذا ضمنت المعاني صارت أسماء، والأسماء ذا ترادفت صارت كلاماً، والكلمات إذا اتسقت صارت أقاويل، والأقاويل نوعان: موزون ونثر[3].

وهذا النّص أولاه الدكتور حسن ظاظا اهتماماً خاصاً نظراً لأهميته وحلّله،

---

(١) ينظر رسائل إخوان الصّفا، وخلان الوفاء، ٨٤، ٨٥، ٤٠٧، طبع بيروت، عام ١٩٥٧م.

(٢) ينظر: القضية محل مبحث عقدي بين الطوائف الإسلامية في تنزيل صفة الكلام والبيت محل نزاع في تفسيره للاستدلال به على مذهب كل فريق. ينظر: العقيدة الطحاوية والرسالة التدمرية في صفة الكلام، حيث يثبت السلف الصفة من دون تأويل أو تكييف أو تشبيه أو تعطيل بينما يؤولها المعتزلة بالكلام النفسي.

(٣) ينظر: رسائل إخوان الصّفا وخلاّن الوفاء المجلد ١، القسم الرياضي، الرسالة العاشرة، ٣٩١، ٣٩٢.

وهو مدخل سيأتي تعميقه عند القدامى في علاقة الدال بالمدلول. فالمنطق اللفظي باب يؤدي إلى فهم المنطق الفلسفي النفسي المعنوي. وهذا الإدراك متقدم لعلاقة اللغة بالفلسفة، وعلاقة اللغة بالنفس كما أثبت أخيراً في علم اللغة النفسي عند المحدثين[1]. يقول ظاظا: "هذا النص من رسائل فلاسفة الإسلام في العصور الوسطى "إخوان الصفاء" لم يُعرّف لنا الكلام بقدر ما حاول أن يبين لنا، بطريقة مدهشة في تقدمها على الزمن الذي كتبت فيه، العلاقة بين اللغة والفكر، وهو موضوع لم يفرغ أحدث علماء الغرب إلى الآن من الخوض فيه، وفي كل مرة تعترضهم مشاكل لا حصر لها، ومهما يكن من شيء فإننا نستطيع أن نستخلص من كلام إخوان الصفاء أن الكلام ظاهرة خاصة بالإنسان لأنه عندهم معنى قائم في النفس أولاً، أي أنه إدراك عقلي لحقيقةٍ ما من حقائق الوجود، ثم تعبير باللفظ عن هذا الإدراك، وهم قد ذكروا أنه عندما يتحول المعنى إلى أصوات، تقوم عملية تبادل بين المتكلم باللسان والسامع بالأذن"[2].

وهذا مندرج في علاقة اللغة بالفكر كقضية شغلت المحدثين، وأن المعاني قائمة بالنفس كما يقرر الجرجاني من القدماء، وأن الإدراك اللغوي إدراك عقلي لحقيقة من حقائق الوجود اللغوي ذو الطبيعة الحديثة، وأن الفكر مرهون باللغة تتحكم في توجيهاته؛ لأننا نفكر عبر القوالب والأثواب التي تتيحها اللغة لنا فحسب[3].

---

(١) ينظر: علم اللغة النفسي، لعبد العزيز العصيلي ٢٨/١١، ١٤١، والعلاقة بين اللغة والفكر، للدكتور أحمد عبد الرحمن حماد، ١٧، ٢٤.

(٢) اللسان والإنسان ٣٠، وينظر: الارتباط بين اللغة والفكر في المرحلتين الأولى والخامسة في موقف الاتصال اللغوي، ٤، ١٠، ٣٩.

(٣) ينظر: دروس في الألسنية العامة، تعريب القرمادي، ٣٢، ١٠٩-١١٤، والجوانب

ومن الممكن التعبير عن هذا المعنى بأن الاسم هو الوجود اللغوي الذهني المسمى، على حين يمثل المسمى نفسه جانب الوجود المادي، فكأن لكل موجود حالتين: حالة الوجود المادي في الطبيعة، وحالة الوجود الإنساني في اللغة، نعم رغم أن اللغة وسيلتها الفكر في نموها ولكن قد تكون قيداً على حركته وذلك عندما يلمح بعض العلاقات الذهنية أو الخارجية التي تجهلها؛ لأنها لم تتحدد من قبل في صورة رمزية لغوية، غير أن الفكر سرعان ما يعود إلى ما لديه من الصور المختزنة يقرن النظير بالنظير ويماثل الشيء بشبهه ثم يواصل نشاطه بوساطة التمثيل اللغوي، أو الاصطلاح، أو الافتراض أو غير ذلك من الوسائل اللغوية، وهي جميعاً معينات على استمرار فكر الإنسان مُطَّردُ الحركةِ وبذلك تستمر أيضاً عملية نمو اللغات وتطورها[1].

كما نجد أن المحدثين قد عمقوا هذه المدارك العقلية وجلَّوا الدور الذهني منها كما فعل دوسوسير والعقد الإيجابي عنده، والارتباط عند ماريوباي، وكذا سابير، وتشومسكي وغيرهم ممن سيرد ذكرهم في دور المحدثين في القضية[2].

الدلالية والفكرية في الدائرة اللغوية الكلامية، حولية كلية اللغة العربية بالزقازيق، ٢٥٠٨-٢٥١٠.

(١) علم اللغة العام، توفيق شاهين ٩٩. وينظر: منطق أرسطو ١/٩٩-١٠٢، وتلخيص كتاب العبارة لابن رشد، ص٧٥، تحقيق محمود قاسم الهيئة المصرية العامة للكتاب، عام ١٩٨١م.

(٢) ينظر: دروس في الألسنية العامة، تعريب القرمادي، ١٠٩، ١٧٢، ١٨٦، والمعرفة اللغوية طبيعتها وأصولها واستخدامها، نعوم تشومسكي، ٧٧، ٨٠، ١١٩.

حيث يقرر إبراهيم أنيس بأن اللغة تحجر الفكر وتُقيده في مسارب منمَّطه.

ودوسوسير يقرر أن "الفكرة تفجر في المخ صورة صوتية مقابلة لها، وهو ما يُفَسَّر بالارتباط بين الظاهرة النفسية والحركة العضوية. ونجد الارتباط عند ماريوباي بين الجانب العضوي والنفسي في "عملية الكلام – إذن– تتكون من جانبين، عضوي ونفسي، وحركة الكلام تبدأ من الرباط النفسي أو العقلي الذي سبق الاتفاق عليه في عقول المتكلمين بين دلالة معينة ومجموعة من الأصوات التي ترمز إليها ولكن سرعان ما تنتقل إلى العملية العضوية عن طريق إشارات عصبية يرسلها العقل إلى الجهاز النطقي لإنتاج الصوت المطلوب، وتترجم الرسالة على ضوء ما اختزن في العقل من علاقة بين الرمز الصوتي ومدلوله سواء اتفق الفهم تماماً مع ما في ذهن المتكلم أم لا"(١).

وكذا العقد الإيحائي عند دوسوسير، وأوجدن تشاردز "فما المقصور بالضبط بالعقد الإيحائي عند سوسير؟ وما رابطة أوجدن تشاردز بين الرمز والمفهوم؟

أبسط جواب لهذا السؤال هو القول إنها رابطة نفسية، فعندما نفكر في اسم ما فإننا نفكر في مفهوم ما، والعكس بالعكس، وبهذا يتألف المعنى من قابليتنا على ربط أحدهما بالآخر أو بالأحرى من ممارستنا لهذا الربط"(٢).

"وذهب دوسوسير إلى أن كل ما في اللغة سيكولوجي، وأن الرمز اللغوي هو كيان نفسي سيكولوجي". "وعند سابير والمدرسة السلوكية الرمز

---

(١) علم اللغة العام، توفيق شاهين ٩٩-١٠٠. وينظر: دروس في الألسنية العامة، ١٧٢، ١٧٥، ودلالة الألفاظ، ٦، ٩، ١٠.

(٢) علم الدلالة، بالمر، ترجمة الماشطة، ٩٧، ١١٣، وينظر: دروس في الألسنية العامة، ١١١، ١١٢، ١١٤.

اللغوي ذو طبيعة نفسية ذات وجهين يربط بهما رابط يجمع بين مفهوم وصورة صوتية وليس بين شيء واسم، والصورة الصوتية ليست الصوت المادي بل الانطباع والأثر النفسي لهذا الصوت في الدماغ وهو ما يسمى بالمفهوم". وعلى الجملة لا يتوقع النجاح الكلي للغة إلا إذا كانت لها طاقة نفسية فكرية"[1].

وسيأتي الحديث مفصلاً عن المدرسة السلوكية والتصورية وطبيعة الرمز للغوي عند أعلامها.

(١) المسار الجديد في علم اللُّغة العام، ٥٣ ٦٩، و١٠٥، وينظر: علم اللغة في القرن العشرين، ص٢٧، تأليف جورج مونان، ترجمة: د. نجيب غزاوي، والمغني في أبواب التوحيد والعدل للقاضي أبي الحسن عبد الجبار ٩٢/٢، قوّم نصّه إبراهيم الأبياري، بإشراف د. طه حسين، القاهرة، عام ١٩٦١م.

المبحث الأول

القضية عند القدماء من لغويين وغيرهم (ابن سينا والأصوليين نموذجاً)

بحث القدماء التصور العقلي في رموز اللغة وأعلامها، وتناولوا الجانب الذهني الفكري في علاقة الدلالات باللغة ورموزها مفردات، وتراكيب، وأساليب وعلى مستوى الألفاظ، وتعمقوا في ذلك حتى بحثوا العلاقة المتصورة الذهنية والفكرية بين الدال والمدلول، وكيف يتم الربط بين الرمز اللغوي والذي يحمله الصوت وبين المعنى ودلالته في اللغة، وبين التصور العقلي للأشياء في الأذهان وتطبيقها على الوجود في الخارج والأعيان[1] كل هذا عبر الكلام الذي هو ناتج عن الهواء الفاسد الذي لم يعد ينفع الجسم، وهو خارج منا شئنا أم أبينا، وكل ما نفعله، هو أن نعترض سبيله أما عند الحنجرة، أو ما فوقها حتى الأسنان والشفتين، ونصنع منه معجزة الكلام، هبة الخالق لنا[2].

والتصوّر والذاكرة: ودورهما في العملية اللغوية والاتصال بحث عند القدامى من قبل ابن سيناء، والأصوليين، وشيخهم الغزالي، وعند ابن خلدون، وكذلك أبو حاتم الرازي وغيرهم وحسبنا أن نذكر نماذج موجزة لتلك

---

(١) ينظر: العبارة من (الشفاء) لابن سينا، ١-٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م، ومعيار العلم، لأبي حامد الغزالي، ٧٤-٧٦، دار المعارف بمصر، ١٩٦٩م.

(٢) علم اللغة العام، ٧٣، وينظر: علم اللغة النفسي، عبد المجيد منصور، ٢٥-٢٧.

الجهود خصوصاً في الجانب الذهني الفكري[1].

حيث "شرح ابن سينا (٣٧٣-٤٢٧هـ) العملية الدلالية اللغوية على نحو يثير الفضول العلمي المعاصر اليوم؛ ذلك أنه وقف على دقائق الأبعاد النفسية اعتماداً على درايته بعلم النفس، وبراعته في التحليل العقلي المقترن بالنزعة التشريحيّة، فقد كان الفيلسوف والطبيب في آن معاً، مما يعد سبقاً في علم الأصوات التطبيقي الذي يقوم على تشريح الأعضاء في جهاز النطق وتحديد دورها في العملية النطقية، ولم تقتصر براعة ابن سينا على الجانب النفسي بل عُد في علم الأصوات وعلم وظائف الأعضاء من الأوائل الذين وصلوا إلى دقائق أمَّن عليها علم اللغة الحديث في فرع الدراسات الصوتية، وهذا تمام الفصل عند المحدثين في علاقة الدال بالمدلول، وكيف تقع المدلولات وتشير الرموز عبر عملية الربط الذهني والاستدعاء التصوري. وقد حدّدت في هذه العملية الدلالية [١] الأشياء المادية الحاضرة، أو الغائبة عن الحس والأفكار والمجردات [٢] وأشير إلى المثيرات السمعية واستحضارها لصور الأشياء ومعانيها [٣] وصنّفت الرموز الدلالية، وهي: الألفاظ المثيرة ثم الكتابة التي تنوب عن اللفظ والصوت. وينظر هنا الرابط الذهني الفكري في العملية الدلالية الاتصالية وربط الأشياء المادية الحاضرة والغائبة بالتصورات العقلية، ونلاحظ فيها وضوح الفصل

(١) ينظر: معيار العلم للغزالي، ٣٠-٣٦، ومقدمة ابن خلدون، ٥٠٤، ط. دار الشعب، القاهرة، والزينة لأبي حاتم الرازي ١/١٣٠-١٣٢، تحقيق: فيض الله الهمداني بالقاهرة، ١٩٥٧م، والعبارة لابن سينا، ١-٦، وشرح القاضي عضد الملة والدين لمختصر المنتهى الأصولي ١/١٩٢-١٩٤، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، عام ١٤٠٣هـ-١٩٨٤م.

بين العالم الخارجي عن اللغة ثم العالم النفسي؛ أي الذهن والتصوّر مع تميّز الذاكرة، وبعد ذلك الأدوات اللغوية والأصوات في ألفاظ تربط بين العالمين: المادي والنفسي، فتساعد على ترسيخ صور العالم الخارجي على هيئة معانٍ تحتفظ بها الذاكرة، تثور مع أسمائها عند مشاهدتها، أو عند غيابها بفضل تحريكها بسماع الرموز الصوتية الخاصة بها[1].

"يقول ابن سينا في (العبارة) من كتاب الشفاء تحت عنوان: (فصل في معرفة التناسب بين الأمور والتصوّرات والكتابات، وتعريف المفرد والمركب فيما يحتملها من ذلك)، ولنلاحظ أن الحديث هنا يدور عامة عن اللغة البشرية ومنها اللغة العربية-: "إن الإنسان قد أوتي قوةً حسيّة ترتسم فيها صور الأمور الخارجية، وتتأدى عنها إلى النفس، فترتسم فيها ارتساماً ثانياً ثابتاً، وإن غاب عن الحس. ثم ربما ارتسم بعد ذلك في النفس أمور على نحو ما أدّاه الحس. فإما أن تكون هي المرتسمات في الحس، ولكنها انقلبت عن هيئاتها المحسوسة إلى التجريد، أو تكون ارتسمت من جَنْبَةٍ أخرى"[2].

وانظر في تحليل العنوان التناسب بين الأمور وفيها الدّوال والمدلولات وكيفية التوافق الرمزي الدلالي والربط الذهني، ثم انظر إلى التصورات والكتابات وكيف أن اللغة متصورة ذهنياً؛ أي موجودة في رؤوس أصحابها عموماً وموجودة في رؤوس وعقول المتلقين بها. فإذا جاء المثير اللغوي قدح زناد العقل وآثار فيه المعنى الذي يشير إليه الرمز اللغوي. واختار هنا

(١) ينظر: علم الدلالة العربي، ١٣.

(٢) العبارة من (الشفاء) لابن سينا، ١، ٢، وينظر: ٣، ٤.

الكتابة وهي المستوى الثاني من اللغة[١].

فللأمور وجود في الأعيان، ووجود في النفس يكوّن آثاراً في النفس، ولمّا كانت الطبيعة الإنسانية محتاجة إلى المحاورة لاضطرارها إلى المشاركة والمجاورة، والمجاراة انبعثت إلى اختراع شيء يُتوصل به إلى ذلك... فمالت الطبيعة إلى استعمال الصوت، ووفقت من عند الخالق بآلات تقطيع الحروف وتركيبها معاً، ليُدلَّ بها على ما في النفس من أثر، ثم وقع اضطرار ثانٍ إلى إعلام الغائبين من الموجودين في الزمان، أو من المستقبلين إعلاماً بتدوين ما علم... فاحتيج إلى ضرب آخر من الإعلام غير النطق، فاخترعت أشكال الكتابة"[٢].

ثم نجد براعة ابن سيناء وتلاقيه مع المحدثين في محاولة تفسير الرابط الذهني الذي يربط ويحفز ويُفَعِّل المتصورات الذهنية المستقرة في الذاكرة كذخيرة لغوية، وكفاية مكتسبة منها، وكيف يتم ذلك عن طريق الصوت اللغوي المنتج غير جهاز النطق. حيث يربط ابن سينا مسيرة الوصول إلى إيقاع الدلالات بالمدلولات عن طريق الصوت الخارج مع النَّفس ليُعبّر عما في النفس قائماً مصوَّراً مشخصاً ذلكم هو الرباط العقلي والذهني[٣].

---

(١) ينظر: التمهيد في أصول الفقه، تأليف: الكلوذاني ٣٥١/٢، والتفكير واللُّغة، ٩، ١٣، ٤٣، والاستماع والإنصات ودورهما في إدراك الرمز اللغوي، حولية كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، القاهرة، ٢٠٤٩-٢٠٥٣.

(٢) العبارة من (الشفاء) لابن سينا، ١، ٢، وينظر: دروس في الألسنية العامة، ٣٢، ٤٤، ٤٩.

(٣) ينظر: تلخيص كتاب العبارة لابن رشد، ٥٧، والارتباط بين اللغة والفكر في المرحلتين الأولى والخامسة في موقف الاتصال اللغوي، ١٤، ١٥، ١٦.

فبعد هذا العرض المجمل للتكوين الدلالي، يعود ابن سينا شارحاً على نحو تفصيلي قريب كيف تتمّ الحركة بين الصور المحفوظة في الذاكرة للمدلولات المادية أو المجرّدة؛ وهي المسماة بالآثار أو المعاني، والألفاظ والكتابة التي هي أدوات دلالية. فما يخرج بالصوت يدلّ على ما في النفس، وهي التي تسمّى آثاراً والتي في النفس تدل على الأمور، وهي التي تسمى معاني، أي مقاصد للنفس (إذ يقصد الإنسان إلى التعبير عن العالم الخارجي بمعطياته، أو عن الانفعالات والرغبات في حياته الاجتماعية وروابطها)، كما أن الآثار أيضاً بالقياس إلى الألفاظ معانٍ. والكتابة تدل على اللفظ إذ يحاذى بها تركيب اللفظ، واختير ذلك للسهولة. "ومعنى دلالة اللفظ أن يكون إذا ارتسم في الخيال مسموع اسم ارتسم في النفس معنى، فتعرف النفس أن هذا المسموع لهذا المفهوم. فكلما أورده الحسّ على النفس التفتت إلى معناه"(١).

وفي لفتة تعتبر من دقائق علم اللغة الحديث نجده يتعرض للظاهرة اللغوية عند الإنسان كظاهرة عامة مشتركة يجمعها قواسم وسمات متفقة بين الأجناس البشرية. وتختلف فقط أدوات ووسائل الرموز الصوتية والتراكيب اللغوية عنها تبعاً لاختلاف البيئات اللغوية(٢).

"حيث يلتفت ابن سينا إلى نقطة ذات أهمية في تبيّن الوعي العلمي الذي يستوعب آفاق البحث الدلالي العام، ثم يخصص ما يكون بَعْدُ متصلاً بكل لغة بشرية عند انفرادها وتميّزها الذاتي، فالإنسان لديه القدرة التصوّرية اللغوية،

---

(١) علم الدلالة العربي، ١٤، ١٥، وينظر: عبارة ابن سينا في العبارة، ص٤.

(٢) ينظر: التفكير اللساني في الحضارة العربية، ٨٨، ٩٣، ١٤٣، ومدخل في اللسانيات، ٥٥، ٦٦، ١٠٧.

وهي قاسم مشترك عند البشر، والحركة الذهنية واحدة -مع النظر إلى اختلافها درجة وإتقاناً- في طبيعتها، أمّا الوسائل والرموز فهي مختلفة بين الأمم في لغاتها المتباينة الدلالات مع أن المدلولات في العالم الخارجي، وفي المجرّدات المعروفة واحدة "وأمّا دلالة ما في النفس على الأمور فدلالة طبيعية لا تختلف لا الدال ولا المدلول عليه، كما في الدلالة بين اللفظ والأثر النفساني، فإن المدلول عليه وإن كان غير مختلف فإن الدالّ مختلف، ولا كما في الدلالة بين اللفظ والكتابة، فإن الدالّ والمدلول عليه جميعاً قد يختلفان"(١).

وهذا تمحيص دلالي للمتصورات، والدَّوال، والمدلولات وبراعة مردها إلى فطره وملكه، وعصف ذهني فلسفي متأمل يمارسه القدماء في دراستهم للظاهرة اللغوية ومنهم الغزالي الذي تطابق مع ابن سينا وعَمَّق عبارته. وكان أصولياً فقيهاً فيلسوفاً لغوياً.

يقول: "والوجود في الأعيان والأذهان لا يختلف بالبلاد والأمم، بخلاف الألفاظ والكتابة، فإنهما دالتان بالوضع والاصطلاح"(٢).

وهنا يقرر الغزالي أن الفكر الإنساني واللغة (أي لغة إنسانية) لا تختلف بها المتصورات الذهنية للأشياء، وقضية ربطها بالمتصورات الخارجية، فهما متحدان عند جميع البشر، لا تختلف عند أمة عنها عند أمة أخرى، وإنما الذي يقع فيه الاختلاف هو اللفظ والصوت المعبِّران عن هذه التصورات الذهنية وربطها بالموجودات الخارجية، وهنا نفهم استنباطاً أن الآلية الذهنية

---

(١) علم الدلالة العربي، ١٥، وينظر: عبارة ابن سينا في العبارة، ص ٥.

(٢) ينظر: معيار العلم، لأبي حامد الغزالي، ٧٥، وينظر: دور الكلمة في اللغة، استيف أولمان، ٣٣-٣٤.

الفكرية لربط الأعيان بما قام في الأذهان أمر عام خارج حدود لغة معينة ما. بل هو ارتباط فكري عقلي بشري عام.

"وقد انتشر هذا التحليل الدلالي في أوساط الدارسين والفقهاء وعلماء الأصول إضافة إلى المهتمين بالمنطق والفلسفة، ونشير إلى اثنين من رجال الثقافة العربية الإسلامية عرفاً مكانة تشريح العملية الدلالية وأهميتها، فالغزالي (٤٥٠-٥٠٥هـ) يتملّك ناصية اللغة والفلسفة أدوات في بحوثه، وينبه إلى ضرورة الأخذ بالمنطق ومسائله في علم أصول الفقه، فالحملة التي حملها على الفلاسفة لم تمنعه من تداول مصطلحاتهم ومن أخذ بعض الأساليب التحليلية النافعة من كتب هؤلاء ودراساتهم، فيفرد الغزالي بحثاً في كتابه (معيار العلم) لبيان رتبة الألفاظ من مراتب الوجود، ويقول فيه بأسلوب ميسّر يذلل ما مررنا به قَبْلُ عند صاحب الشفاء: "اعلم أن المراتب فيما نقصده أربع، واللفظ في الرتبة الثالثة، فإن للشيء وجوداً في الأعيان ثم في الأذهان، ثمّ في الألفاظ، ثم في الكتابة. فالكتابة دالّة على اللفظ، واللفظ دال على المعنى الذي في النفس، والذي في النفس هو مثال الموجود في الأعيان"(١).

والحديث عن الغزالي يجرنا إلى الحديث عن الأصوليين، وهم ممن برع في تحليل ودراسة الظاهرة اللغوية تسخيراً لخدمة النص الشرعي وبيان وجه دلالته واحتمالاته وهو جهد لا يمكن تجاوزه بدون التذكير به إجمالاً، نظراً

(١) علم الدلالة العربي، ١٥-١٦، وينظر: التصور اللغوي عند الأصوليين، ١٦٧-١٦٩، والبحث الدلالي عند الأصوليين، ٩، ١٣، ٦٩.

لأهمية الفكر اللغوي عامة، والدلالي خاصة[1]. مع التذكير أنه لا يمكن رصد هذا الجهد إلاَّ في دراسات خاصة قام بعضها، ولا زال الفكر اللغوي عند الأصوليين والمنهجية الدقيقة التي طبَّقوها تحتمل دراسات معمقة سواء أكان ذلك في علم اللغة ومناهجه، أم في الدلالة ونظرياتها[2]. فقد تناول الأصوليون الحقيقة والمجاز من جانب الأصالة والفرعية لمفردات اللغة، والعام والخاص، والمطلق والمقيد، والمجمل والمفصل، والمفهوم والمنطوق، والدال والاستدلال والمدلول، ووجه الدلالة وتحديد المعنى "إلا أنه يمكنا أن نصف منهجهم في كل هذه الأمور بالمنهج العقلي النظري والاتجاه المنطقي في التفكير". حيث يستعرض الدكتور السيد أحمد عبد الغفار بعض نتائج بحثه عن الجهد الأصولي بما يلي:

"من القضايا التي أثارها الأصوليون ولاقت تقسيمات جديدة عند المحدثين العلاقة بين المحتوى العقلي واللفظ وما أثاره الغزالي حول وجود الفكرة أولاً ومهمة اللفظ في إخراجها وما يقابل ذلك لدى علماء الغرب أيضاً، ومنهم "أولمان" الذي تكلم عن دورة المعنى وارتباطها بالدلالة (وهي المحتوى الفكري) وقيام الرمز (وهو اللفظ) بإخراجها، وأنَّ المعنى هو ذلك المصطلح الذي يطلق على العلاقة المتبادلة بين الدلالة واللفظ"[3].

---

(١) ينظر: البحث الدلالي عند الأصوليين، ١٠-١٣، ٢٨، والتَّصور اللغوي عند الأصوليين، ١٠-١٣-١٦٨، ١٦٩.

(٢) ينظر: علم التخاطب الإسلامي دراسة لسانية لمناهج علماء الأصول في فهم النَّص، ٣٢، ١٢٧، ١٨٥، ٢٠٦.

(٣) التصور اللغوي عند الأصوليين، ١٦٨-١٦٩، وينظر: علم التخاطب الإسلامي، دراسة لسانية لمناهج علماء الأصول في فهم النَّص، ٥٩-٦٥، ٧٧، ٢٣٧-٢٤٢.

ولعل كثيراً من نتائج الدرس اللغوي والدلالي عند الأصوليين لو لاقت منصفاً، وجهداً دؤوباً منصفاً لتبين أن كثيراً من نتائج الدرس اللغوي والدلالي الحديث قد سبق إليه الأصوليون خصوصاً لجهة المنهج، والآلية المنضبطة التي تناولوا بها اللغة والدلالة[1]. فتلك محاولة سبق إليها الأصوليون في وضع قواعد عامة لضبط تلك العلاقة؛ ولذلك كانت أبحاثهم تدور حول المضمون عن طريق تحليل النَّص ولم يتجهوا إلى معرفة المفاهيم اتجاهاً شكلياً، بل كانت آراؤهم تقوم على أساس من منطق اللغة العربية نفسها كما أشار إليه الشافعي"[2].

وقد نزعوا إلى منطق اللغة نفسها لذاتها وبذاتها -كما قال دوسوسير في عبارته المشهورة "دراسة اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها". وتلاقوا مع المحدثين في الدلالة اللفظية؛ لأنهم اعتبروا اللغة أصوات دالة، وسايروا أبحاث المحدثين في التطور الدلالي للَّفظه. كما أظهر الأصوليون موقف اللغة من صاحب النَّص والتقسيم الذاتي الذي ذكره الغزالي في حديثه عن البيان من: إعلام، ودليل، وعلم. يدور كله حول اللفظ، والفكرة، وصاحب النَّص، فمن الواجب معرفة طريقة اللغة وأساليبها في التعبير لتعريف ما هو في حاجة إلى توضيح وإظهار وما يستتبع ذلك من تحديد الفكرة للوصول إلى مقصد صاحب النَّص في تحقيق المصلحة الإنسانية"[3]. لقد برعوا جداً خصوصاً في الدلالات المفردة وروابطها الذهنية؛ وخاصة في دلالة

(١) ينظر: البحث الدلالي عند الأصوليين، ٩-١٣، ٦٩، ١٦٣-١٦٥.
(٢) التصور اللغوي عند الأصوليين، ١٦٩.
(٣) التصور اللغوي عند الأصوليين، ١٧٠-١٧١.

المصطلحات التي أطلقوها على الدلالة المفردة، وشدة انضباطها؛ من مفهوم ومنطوق، وواضح وخفي وجلي، وظاهر وعام وخاص، ومطلق ومقيد، ولا يخفى ما في هذه المصطلحات من روابط ذهنية عميقة بين الدال والمدلول[1]. ويكفي أن تطم أن مصطلحات كالتأويل، والفحوى، والمفهوم، واللازم والمقتضى، قائمة على الجهد الذهني والعقلي المحض. وأنَّ بداية الدرس الأصولي قامت على الحس اللغوي للعرب ولم يكن فيه تلك الفروق الدقيقة ثم تمنطق حسب دخول الموالي فيه. وحسب محاولة التعمق بحثاً عن مقصد الشارع أو العلل التي توجِّه دلالتها. "وعلى أية حال فقد اتسع النظر الأصولي وظهر منه كثير من المسائل الشرعية الدقيقة أنتجها البحث في مفردات اللغة، ودلالتها وتنوع تلك الدلالة، وهو عمل جاد في الوصول إلى روح الشريعة، ومقصد المشرّع مما يربط بين النصوص والحياة الإنسانية بما يقودها قيادة سليمة"[2].

لقد راعى الأصوليون في بيان العلاقات سطحية اللغة مع بنيتها العميقة مما يمكن ضبطه والتعامل معه بمنهجية صارمة تتمخض عنها نتائج ثابتة لا تتزعزع وتعبر عنها مصطلحات في منتهى الدقة والأحكام[3].

---

(١) ينظر: علم التخاطب الإسلامي دراسة لسانية لمناهج علماء الأصول في فهم النَّص، ٤٧، ٥٥، ٧٧، ٨٦، ٢٠٦-٢١٧، ٢٢٢، والبحث الدلالي عند الأصوليين، ١٦٣-١٦٦.

(٢) التصور اللغوي عند الأصوليين، ١٧٢، وينظر: علم التخاطب الإسلامي دراسة لسانية لمناهج علماء الأصول في فهم النَّص، ٣٢، ٣٣، ٧٣-٧٧، ٢٠٧.

(٣) ينظر: علم التخاطب الإسلامي دراسة لسانية لمناهج علماء الأصول في فهم النَّص، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٥-٢١٥.

"وعلى هذا فالتصور اللغوي عند الأصوليين يعتبر تصوراً عقلياً، يمكن أن يوصف بالتصور العلمي اللغة؛ لأنهم يخلصون اللغة من شوائب التشخيص والتَّخيل، وما يداخلها من أنواع الجمال اللفظي فهي لغة فكر -في الأساليب العادية، ومقاصد شرعية في نصوص الشرع- تخطط للحياة الإنسانية في ماضيها وحاضرها ومستقبلها"[1]. وهي نتائج في مجملها صحيحة ومستقيمة. وربما يتشابهون هنا مع رؤية المدرسة السلوكية التي حاولت ضبط المنهج اللغوي فيما يمكن التعامل معه بمنهجية واضحة غير مُضللة. ولكنهم فشلوا في التطبيق، فحيدوا الدلالة والمعنى والجانب الفكري في الدلالة فلم يتبق لديهم سوى قشرة اللغة وسطحها، وهو ما جعل المناهج اللغوية والمدارس الدلالية ترفض المنهج السلوكي، بينما نجح الأصوليون من حيث أخفق السلوكيون؛ حيث راعوا الضبط والدقة والإحكام في المنهج بدون تحييد بنية اللغة العميقة وتعبيرها عن المعاني القائمة بالنفس الإنسانية[2].

وعلى الجملة نجد عندهم ما يلي:

ارتباط الألفاظ بالمحتوى الفكري والعقلي، صحة الفكر وخطئه، وصحة اللغة والفكر عند الأصوليين، والتطور الدلالي، والدلالات الإيحائية والوجدانية والهامشية، والمفهوم والمنطوق والتفريق بينهما، والواضح والخفي والجلي والظاهر وغير ذلك مما يعد تلاقياً مع الدرس اللغوي الحديث في علم اللغة العام من جهة ومع الدلالة وأبحاثها بصفتها فرعاً مستقلاً في الدراسة اللغوية

---

(١) التصور اللغوي عند الأصوليين، ١٧٢.

(٢) ينظر: علم الدلالة، أحمد عمر، ٩٥، واللغة والفكر، بول شوشار، ١٨٧-١٨٨.

من ناحية ثانية، مما يعد منهجاً عقلياً منظماً، واتجاه منطقي في التفكير.

وما فسَّره ابن سيناء والغزالي وغيرهم من علما الأصول واللغة نجده عند فيلسوف اللغة والاجتماع ابن خلدون "حيث يتردّد صدى ذلك عند عبدالرحمن بن خلدون (٧٣٢-٨٠٨هـ) في مقدمته، مما يعني رسوخه وتداوله بين مشرق الأمة العربية ومغربها فيقول: "ثمّ من دون هذا الأمر الصناعي الذي هو المنطق مقدمة أخرى من التَّعلّم، وهي معرفة الألفاظ ودلالتها على المعاني الذهنية التي تردها من مشافهة الرسوم بالكتاب، ومشافهة اللسان بالخطاب، فلابد أيُّها المتعلّمُ من مجاوزتك هذه الحجب كلها إلى الفكر في مطلوبك. فأولا دلالة الكتابة المرسومة على الألفاظ المقولة وهي أخفُّها، ثم دلالة الألفاظ المقولة على المعاني المطلوبة، ثم القوانين في ترتيب المعاني للاستدلال في قوالبها المعروفة في صناعة المنطق"[١].

وهذا قريب من ترتيب الجرجاني في نظم الكلام وأن الأمر ليس لفظاً أو معنى لهما المزية وإنما الوصول بهما وعن طريقهما للصياغة والنظم وأحكام الربط بين المعاني النفسية والمقاصد الفكرية وبين سبك العبارة الدالة عليها[٢]. وهنا وعندما يرد اسم ابن خلدون في البحث اللغوي لابد من ربطه مباشرة بعلم اللغة الاجتماعي حيث فلسف اللغة ونظر إلى خدمتها ودورها في المجتمع مما حاز إعجاب كثير من الباحثين المحدثين بهذا الربط العبقري من ابن خلدون، وكما أمّنت عليه أبحاث علم اللغة الاجتماعي بعد أن أصبح علماً

(١) المقدمة لابن خلدون، ٥٠٤، ط. دار الشعب، القاهرة، وينظر: علم الدلالة العربي، ١٦، والملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون، ٢٦، ٣٥، ٤٥، ٩٧.

(٢) ينظر: دلائل الإعجاز، ٢٦٥، ٢٦٨، ٤١٦، ٤١٧.

قائماً بنفسه مستقلاً بمناهجه وقضاياها[١].

"ففي كلمة ابن خلدون دراية بأهمية الدرس اللغوي الدلالي بصورة مستقلة لها قوامها، ثم تُرْبَط بعد ذلك بالتصنيف المنطقي وترتيب قضاياه، وهذا يؤكد ما نذهب إليه من أهمية الجهود اللغوية العربية في كتب المنطق والفلسفة، وعلم أصول الفقه وكتب الكلام والفقه عامة، ذلك أنها ليست مخصوصة بوظائف محدودة في تلك الكتب، بل لها فاعليتها في الثقافة اللغوية والنشاط الفكري فيما تداولت أبواب الثقافة والمعرفة"[٢].

وقد توافق ابن خلدون والجرجاني وابن جني في اجتماعية اللغة وقيام دورها في وسط متكلم ممارس للغة تظهر الدلالة من خلال استعماله لها في مقاصده وأغراضه[٣]. حيث استقر لدى العلماء العرب مفهوم اجتماعية الدلالة اللغوية وعرفيتها، أي اكتسابها حركتها وفاعليتها بفضل (الاصطلاح) بين أبناء المجتمع اللغوي، وقد مرّ بنا قول ابن سينا: "إنّ الطبيعة الإنسانية محتاجة إلى المحاورة لاضطرارها إلى المشاركة والمجاورة". وعرّف ابن جني (٣٢٠-٣٩٢هـ) اللغة بأنها: "أصوات يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم"[٤].

---

(١) ينظر: المقدمة لابن خلدون، ٦٧٥-٦٧٧، ١٠٧٣، وعلم اللغة الاجتماعي، ١٢، ١٧، ١١٨، واللغة والمجتمع، د. علي عبد الواحد وافي، ١٠، ٨٤، ١٧٨.

(٢) علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق، دراسة تاريخية، تأصيليّة، نقديّة، للدكتور/ فايز الدّاية، ١٦، وينظر: الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون، ٣٥، ٤٥، ٦٣، ٨١.

(٣) ينظر: الخصائص ١/٥، والمقدمة لابن خلدون، ١٠٥٦-١٠٥٨، ودلائل الإعجاز، ٤١٥-٤١٩.

(٤) الخصائص ١/٥.

وتابع الثلاثة السابقين[1] أبو حاتم الرازي، حيث قرر أن الأسماء والأوصاف هي محط التفريق الذهني لما يشاهد بأعيانه أو يعرف ويدرك بأوصافه حيث بَيَّن عرفية هذه الأسماء والصفات واعتباطيتها، وأن الأسماء لا تعلل. فقد رأى أبو حاتم الرازي (ت٣٢٢هـ) "أن كلّ شيء يعرف باسمه، ويستدل عليه بصفته من شاهد يدرك أو غائب لا يدرك، وربّما دُعِي الشيء باسم لا يعرف اشتقاقه من أي اسم هو، بل يكون مصطلحاً عليه، قد خفي على الناس ما أريد به، ولأي شيء سمّي بذلك الاسم كقولك: الفرس، والحمار، والجمل، والحجر وأشباه ذلك"[2].

ونجد الدكتور صالح الكشو والدكتور رمضان عبد التواب[3] يُديران بعض الدراسة حول لفتات القدماء في مدلولات الألفاظ ومتصوراتها الذهنية وركائز الفكر فيها.

حيث يتحدث الأول عن بعض إشارات القدماء كابن جني، وأبو حيان، وابن حزم، والجرجاني، والفارابي وربطها بما لدى المحدثين يقول عن ابن جني، وأبو حيان حول اللفظ والمادة والمعنى والقصد: "حروف معجمة ... وقول خارج بالصوت"، ويستشفّ من الخصائص لابن جني أنها المنطوق من القول تقابلها في ذلك كلمة معنى. ويقول أبو حيان: "إن اللفظ طبيعي... وإن مادته طينية". وصفة اللفظ بالطبيعي وإن كانت تفيد "التهافت"، فإنها تعني

---

(١) الجرجاني، وابن جني، وابن خلدون.

(٢) ينظر: الزينة لأبي حاتم الرازي ١/١٣٢، تحقيق: فيض الله الهمداني بالقاهرة، ١٩٥٧م.

(٣) ينظر: مدخل في اللسانيات، ١٠-١٤، والأصول، ٣١٣-٣٢٠، واللغة العربية معناها ومبناها، ٣٠-٣٥.

أوّلا أن مصدره من الطبيعة Physis أي فيزيائي طبيعي كما يقرر كوردا موا: Cordemoy"[1].

وهذه جدالات فلسفية أي هل اللفظ هو المعنى. وهل اللغة هي القصد، وهل الاسم هو المسمى، وهل اللفظ طبيعي أم هو مصنوع، والقصد بالطبيعي هنا أنه فيزيائي طبيعي كما يقرر كوردا موا. وابن جني كما سبق يقابل اللفظ بالمعنى، وهو نفس مقابله الطبيعي بالطيني في علاقة الدال بالمدلول. أنه لا يضر الدرس والتحليل أن تكون المعطيات افتراضاً مسبقاً، فسواء أكانت الألفاظ مستنبطة أم لا وسواء دلّت على هذا المعنى أو ذاك فإنّ نظام العلاقات بين الأصوات والمعاني يبقى ثابتاً لا يتغير[2].

وعن الكلام وماهيته عند ابن حزم، وعند الجرجاني، وأبو حيان يقرر صالح الكشو: "والآن بعد أن تبيّن مفهوم الألفاظ نعود ونطرح السؤال من جديد: ما هو الكلام؟ هو "حروف مؤلفة" يجيب ابن حزم[3]، "وتواليها في النطق فقط"، كما يؤكّد عبد القاهر الجرجاني[4]، "واسم واقع على أشياء"، كما يواصل أبو حيان، وهو تعريف قائم الذات، له كلّ مقوّمات الحسية والدلالية، متكاملة. وعن ظلال المعنى ووظيفته وعلاقته بالإحساس وكونه عقلياً متصوراً يقول[5]: "فإذا كانت "الإحساسات ظلال العقول" على حدّ قول أبي حيان، وإذا كان "المعنى عقلياً" على حدّ قوله كذلك، فهذا يعني أنّ الكلام من

(١) مدخل في اللسانيات، صالح الكشو، ١٠.
(٢) مدخل في اللسانيات صالح الكشو، ١٠.
(٣) الأحكام ٢٩/٧.
(٤) دلائل الإعجاز، ٣٥.
(٥) مدخل في اللسانيات، ١١.

حيث هو أشكال حسية مطّردة لا يفارق المعنى من حيث هو عقلي، ولا إمكان لوجوده لغوياً بدون المعاني. ويقول الكشو صالح عن تحديد الدلالات والمعاني عند أبو حيان: "فما هي المعاني؟، هي وقوع الأسماء على الشيء، تعنيه وتدلّ عليه، وهو تحديدٌ عَرّف أبو حيّان كيف يخرج به من عقم الجدال الذي أشرنا إليه. فكأنّ المعاني هي أوّلا فعل وقوع الاسم على الشيء، مهما كان هذا الشيء مجرّداً أم مادياً. أمّا كلمة اسم فهي كلمة جامعة تفيد "الاسم والفعل والحرف" أي اللغة، يقول أبو حيّان "اللغة الجامعة للأسماء والأفعال والحروف"[1].

ولتحديد ماهية هذه المعاني والخاص منها وكونه نحو لغة معينة لها سمات خاصة تفترق عن المعاني العامة، والقواسم المشتركة بين الأمم يقول عن الفارابي: "والمراد بالمعاني هنا المعاني الخاصة لا المعاني العامة التي تحدّث عنها الفارابي، والمعاني الخاصة هي من مشمولات النحو كذلك؛ أي النحو الخاص الذي "يعطي قوانين تخص ألفاظ أمّة ويأخذ ما هو مشترك لها ولغيرها لا من حيث هو مشترك بل من حيث هو موجود في اللسان الذي عمل ذلك النحو له". أما المعاني العامّة فالمنطق هو الذي يشملها بالدرس. "ولا ينظر (المنطق) في شيء مما يخص ألفاظ أمّة ما... وإنّما يعطي قوانين تشترك فيها ألفاظ الأمم وتأخذها من حيث هي مشتركة"، ولكن النحو ينظر في مثل هذه المعاني. يؤكّد أبو حيان: "وإنما دخل العُجْب على المنطقيين لظنّهم أن المعاني لا تعرف إلاّ بطريقهم"[2].

---

(١) مدخل في اللسانيات، ١١.

(٢) مدخل في اللسانيات ١١ بتصرف.

وهذه اللفتات الذكية والمتقدمة في اللغة نماذج يمكن البحث عن مثائلها ويشابهها في الفكر اللغوي العربي القديم، والذي لا يقتصر فقط على من عرفوا بعد ذلك باللغويين، بل يشملهم ويشمل غيرهم من علماء العرب والمسلمين في الأصول، والمنطق والفلسفة، وعلم الكلام، والتفسير، والبلاغة، نظراً لأنهم كانوا ينظرون إلى العربية وعلومها ومناهجها على أنها وسيلة. ويسمونه علم الوسيلة، وكل صاحب فن لا بد له من حد أدنى من الكفاية فيه.

ونجد الدكتور رمضان عبد التواب يهتم أيضاً بتلك الإضاءات عند القدماء، ومنهم الأحناف حيث يضع جدولَ التقسيم الحنفي لدلالة اللفظ وجدولاً آخر للعلاقة الذهنية، ثم يتحدث عن علاقة الرمز بالمعنى وأنواعه الثلاثة الطبيعية والعرفية والذهنية بما تستلزمه من استقراء واستدعاء. وهي الألصق هنا بالفكري والذهني في العلاقة بين الدال والمدلول مستفيداً من المناهج السيميائية وعلوم البلاغة.

التقسيم الحنفي لدلالة اللفظ[1]

(١) اللغة العربية – معناها ومبناها ٢٢-٢٣، والأصول، ٣١٧، وينظر: علم التخاطب الإسلامي دراسة لسانية لمناهج علماء الأصول في فهم النَّص، ٢٠٦، ٢٢٢.

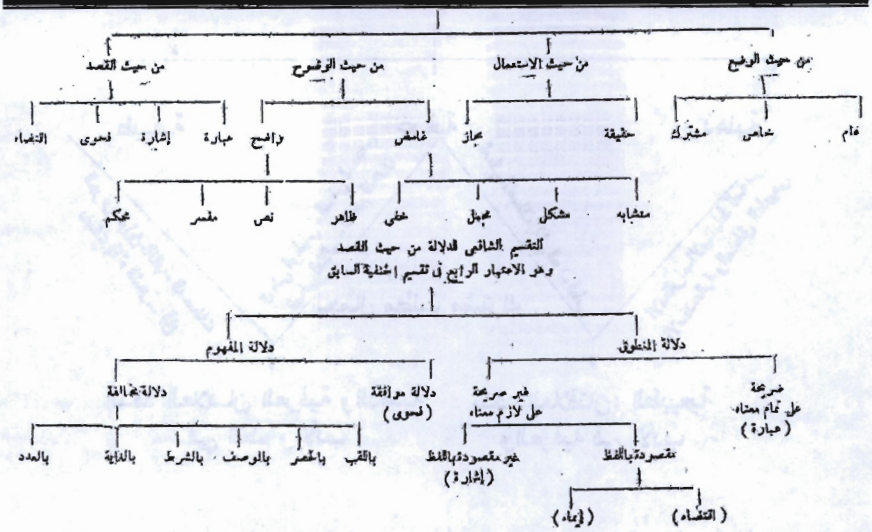

ويقول عن تفريع الفروع الثلاثة السابقة: "فإن المعنى هو الأساس الذي تم بحسبه تفريع الفروع الثلاثة، بتشقيقه، وإعطاء كل شق منه ما يوصل إليه من الأساليب اللغوية. ... ولبيان ذلك نشير إلى تقسيم السيمائيين للعلاقة بين الرمز والمعنى إلى علاقة طبيعية، وعلاقة عرفية، وعلاقة ذهنية، ثم نحاول أن نبني على هذا التقسيم فهمنا لموضوع كل فرع من فروع البلاغة، وأن نفرق بين خصائص نوعين من الأسلوب، هما أسلوب الأدب (وهو موضع اهتمام البلاغيين) وأسلوب العلم[1]، فنسوق الشكل البياني التالي[2]:

العلاقة بين الرمز والمعنى

(١) الأصول ٣١٨، وينظر: كتب الأساليب والبلاغة والنقد في معالجة هذه القضية.
(٢) الأصول ٣١٨.

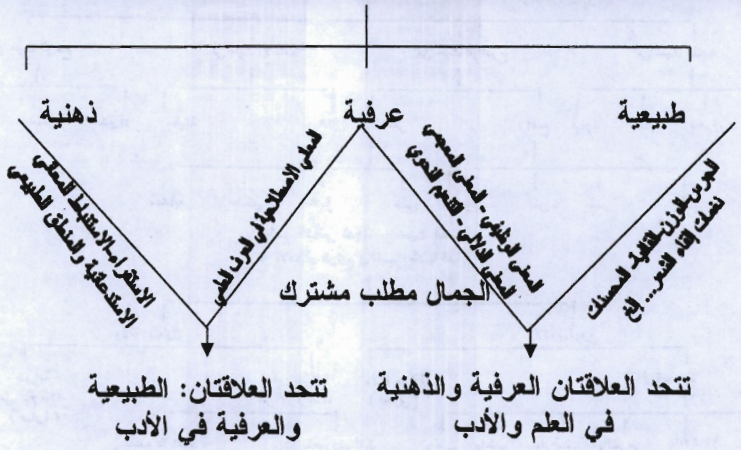

والتفريق بين الأسلوبيين العلمي والأدبي هو محط عناية كثير من الباحثين والمناهج اللغوية حسب اهتماماتها بمستويات اللغة المختلفة، ويمكن الرجوع إلى ذلك في كتب البلاغة، واللغة، والأسلوب ولكن كلا القسمين العلمي والأدبي متضمنين المعنى الذهني والفكري سواء على مستوى اللفظ المفرد وهو مجالنا هنا، أو على مستوى التراكيب والأنظمة اللغوية في بناء الجمل(١).

وسأكتفي بهذا عند القدماء في الروابط الذهنية الفكرية بين الدال والمدلول وسيكون النظرُ في المبحث القادم لهذه القضية من زاوية نظر المحدثين، ثم نسوق في المبحث الذي بعده نموذجاً من القضايا التي تدور حول هذه القضية.

---

(١) ينظر: علم اللغة والدراسات الأدبية دراسة الأسلوب، البلاغة، علم اللغة النَّصي، ٢٣، ٣٩، ١٠٦-١٢٠.

المبحث الثاني

القضية عند المحدثين

كما تناول القدماء عرباً وغير عرب هذه الجزئية إجمالاً لبيان علاقة الدال بالمدلول وهل هي اصطلاحية أو عرفية أو عقلية، وذلك تابع لقضية أعم وهي نشأة اللغة الإنسانية الأولى وكلا القضيتين استهلكت بحثاً واستفاضة، ففي علاقة الدال بالمدلول يصل أحياناً الأمر بالباحثين إلى ما يشبه انسداد الأفق واختلاط النتائج عند بعضهم حيث نجد كل ذلك حاضراً في أبحاث اللغة الحديثة في علم اللغة والدلالة وعلوم الاتصال وغيرها[1]، وكأن هذه القضية لا زالت تستهوى الباحثين ولغز اللغة المحير لا زال قائماً؛ فهي مع شدة الإيضاح والبيان بها إلاّ أنها ميدان أيضاً للتضليل والتعمية، وسوء الفهم بها، وعن طريقها، وإيقاع الدلالات بألفاظها ورموزها[2].

ولذا نجد لأهل الفلسفة والمنطق في دراسة الألفاظ ودلالاتها دوراً فلسفياً في إيقاع الدلالة باللغة ومفرداتها، فاللغة والألفاظ وتعميتها دلالياً جعل أهل المنطق والجبر يتخذون رموزاً وإشارات أخرى رياضية دقيقة للاتصال الدلالي، وسوء الفهم الناتج عن الألفاظ ودلالاتها مرتبط بالفكر لاتصالها الوثيق بالتفكير، ولذا كانت ولازالت مجالاً هاماً للدراسة الفلسفية الفكرية والنفسية.

---

(١) ينظر: دروس في الألسنة العامة، ١٠٩-١١٤، والتفكير واللغة، ٥، ٧، ٩، ٢٨، واللغة والتفسير والتواصل، ٤١، ٧٣.

(٢) ينظر: علم الدلالة العربي، ٣٠-٣٥، ودلالة الألفاظ ٨-١١-١٨، والتفكير اللساني في الحضارة العربية، ١٠٧-١١٤.

وعلماء النفس عرضوا لدراسة دلالات الألفاظ لأنها تتصل بالشعور واللاشعور، والتصور والذاكرة والتخيل، والترتيب والتداعي؛ ولذا نجد أن دراسة العوامل الخارجية المؤثرة في الألفاظ توجه تم مؤخراً لإدراك أهمية ذلك، ومن ذلك العناية بالنفس الإنسانية، والعاطفة لأنها تظلل بعض الألفاظ بظلال خاصة حين يستعملها فرد "ما" ليستفيد من دور الألفاظ في الإيضاح ودورها في التضليل واستخدام الإنسان لها في الجانبين ليوضح وليخفي ما يريد. كما يتم استخدام اللغة ليستر المتكلم خلوه من الأفكار والمعلومات، فالكلام متعب مضلل دلالياً[1]. كما أنه مبين وموضح دلالياً وهذه فكرة صحيحة ولفتة ذكية. وكما أن اللغة تنمي الفكر وتغذيه ليتطور عن طريقها وهي بالتالي صورة له، ومعبرة عنه إلا أن لها وجهاً سلبياً وهو أنها تُقيِّد الفكر وتحجره، وتجعله يسلك مسارب معينة تحددها سلفاً ليعبر من خلالها وليس تفكيراً بعيداً عن القيود.

ولكي تفهم المتلقي الدلالة وتحدد أنواع الدلالات لابد من فهم أشياء من هذا القبيل حول مرونة اللغة، وتصرف المتكلم بها مع استعانته بخبراته اللغوية وغيرها، وقوة تنبؤه وتوقعه لمسالك المتكلم وطرقه وأساليبه في تعبيره مما يجعله متهيأ لذلك ومستعداً.

وهو ما عبر عنه عبد القاهر المهيري بالواقعية البيئية والمعنى "خارج اللغة" و"بالمعجم الذهني" فالإنسان مهيئاً ومُعَدٌّ لاستعمال اللغة واستهلاكها. وتحديد المعنى اللغوي وفق مكانه الطبيعي وهو العالم الخارجي أي

---

(١) ينظر: دلالة الألفاظ ٦، ٧، ١٠-١٢، وينظر: التفكير اللساني في الحضارة العربية، ١٢٨، ١٣٨، ١٤٩.

المجتمع[١] وعلائقه المطردة.

ويشدد بيرس Peirce على الفرق بين الرمز Symbol والدليل Sign وهو نفس الفرق بين الحامل الطبيعي والحامل غير الطبيعي. كما يشير إلى بعض الكليات اللغوية في دلالة الأوضاع في الدلالة الخارجية للغة، وإنتاجية اللغة، ومردودية اللغة، والمنظور النسبي للغة، والدلالة الذهنية للغة[٢].

والرمز طبيعته صوتي، وقيمته لغوية لنقل الفكر بين المؤثر والمتلقي، والرموز متعارفة بين الطرفين وهناك ارتباط غير مباشر بين الجهاز العصبي للمتكلم والجهاز العصبي للمخاطب، واللغة وسيلة ربط بينهما[٣]؛ لنقل ما في الذهن بين الأفراد والمشاركة في الأحاسيس والإدراك بالتحاور العقلي، وكل ذلك طريقه العلامات المشروطة بسابقة معنى متواضع عليه، وأن تكون موضوعات إدراكية[٤].

إنَّ نمط العلاقة بين اللغة والمعلومات والحضارة والثقافة، ونقل الأفكار والموضوعات والترميز الفعَّال للمعلومات التي تحملها مباشر وتلقائي خلافاً لما يعتقده كثير من المناطقة أن اللغة الطبيعية لا تمثل المعلومات إلاّ بتحويرها.

والمعجم الذهني المراد هنا (أصوات كلمة تكفي لاستحضار المعلومات

---

(١) ينظر: اللسانيات واللغة العربية، عبد القادر المهيري، ٣٧٩-٣٨٦، ودلالة الألفاظ، ٤٢-٤٥.

(٢) ينظر: اللسانيات واللغة العربية، ٣٨٦-٣٨٨.

(٣) ينظر: علم اللغة العربية، محمود فهمي مجازي، ١٠، وينظر: ١٦، علم اللغة النفسي، ٢٥، ٢٦، ٨٤، ٨٥.

(٤) ينظر: مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، ٣٨-٣٩.

العالقة بها في ذهن من يتكلم اللُّغة)[1].

فطبيعة الإشارة اللغوية في وظيفتها وعناصرها من الإشارة والمدلول والدال تعني فكرة، مع مراعاة الطبيعة الخطِّية للدال، فاللغه فكرة منظمة مقرونة بصوت وهذا مراعاة القيمة اللغوية من وجهة نظر فكرية: مع التنبه إلى أنَّ مراعاة القيمة والدلالة شيئان مختلفان. وهذا يجعل هناك مستوى ثاني للقيمة وهو القيمة اللغوية من وجهة النظر المادية مما يعني نظرة شاملة إلى الإشارة بأجمعها، فاللغة نظام من الإشارات الفارقة عند دوسوسير، وعند أدوار سابير، وغيرهم من علماء اللغة فقيمة الكلمة فيما يجعلها تدل على فكرة، وهذه أحد جهات القيمة، فما الفرق بين القيمة والقصد؟.

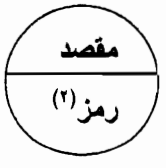

ويعتبر "جو ميوكز" أكثر إصراراً من دوسوسير على هذه النقطة حيث يقول: "أن الاسم لا يدل على شيء، بل على فكرته التي في الذهن". وفي هذا خلق علاقة بين الرمز وما يدل عليه، وعند أوجدن وريتشارد أن الرمزية دراسة الدّور الذي تلعبه اللغة والرموز في حياة الإنسانية، خاصة الفكر، ويجب أن نفرق بين الأفكار والأشياء، فالفكرة هي التي تُوجه، وتُنظم، وتُسجل، وتُوصل، ولا تدل الكلمات على شيء، ولكن المفكر يستعملها فيصبح

(١) ينظر: اللسانيات واللغة العربية، عبد القادر الفهري، ٣٦٠-٣٦٨.

(٢) ينظر: علم اللغة العام، دوسوسير، ١٣١-١٣٥، ٢٣٣، ترجمة يوسف يونيل، وفقه اللغة وخصائصها إميل يعقوب، ٨٩.

لها معنى، إذْ يتخذها أدوات، وبجانب هذه الناحية الفكرية هناك جانبٌ عاطفيٌ للكلمات لا يمكن التقليل من شأنه[1].

وتوجد العلاقات السببية بين الفكرة والرمز، فالرمز المستعمل مسبب عن ناحية فكرية وعن عوامل اجتماعية ونفسية كالغرض الذي سبب الفكرة. وبين الفكرة والشيء علاقة أيضاً مما يعني أهمية الصورة السمعية وربطها بالرموز[2].

ويمكن تصوير ووقوع دلالات المفردات على مدلولاتها بهذه الصورة.

العامل الأول الرمز نفسه The Symbol.

العامل الثاني: المحتوى العقلي الذي يحضر في ذهن السامع حينما يسمع.

وهذا المحتوى العقلي قد يكون صورة بصرية، أو صورة مهزوزة، أو حتى مجرد عملية من عمليات الربط الذهني، طبقاً للحالة المعينة. وهذا ما يسمى بالفكرة Thought أو الربط الذهني Reference، وهناك أخيراً الشيء نفسه الذي ارتبط ذهنياً بشيء آخر وهذا يسمى المرتبط ذهنياً Referent[3].

ويمكن الإشارة إليها هكذا:

"مثير أصلي (S) رد فعل لغوي (I) مثير لغوي (s) رد فعل عملي (R)"

ويدخل في هذا تسمية الأشياء والكلمة ومعناها، والمفهوم والإشارة،

---

(١) ينظر: علم اللغة العام، دوسوسير، ٢٤٦-٢٤٧، واللسانيات واللغة العربية، ٤٢، ٤٤، ٤٦.

(٢) ينظر: علم اللغة العام، دوسوسير، ٢٤٨، ٢٥٠، واللسانيات واللغة العربية، ٦٨، ٧١، ٨٠.

(٣) ينظر: دور الكلمة في اللغة أوستيف أولمان، ٥٨، ترجمة كمال بشر.

والاسم والمسمى، والمفاهيم والفكرة والإشارة والرمز والمشار إليه.

وهو العقد الإيحائي عند دوسوسير، ورابطه أوجدن وريتشاردز بين الرمز والمفهوم وهي رابطة نفسية، وكلها روابط نفسية منبعها فكري استدعائي يقوم على الترابط Sense والإشارة Reference(١).

ونجد روابط بين كلام أوجدن وريتشاردز وأقوال ابن جني في العلاقة الطبيعية بين اللفظ ومدلوله(٢).

فالعلاقة بين الرمز والفكرة علاقة عرضية، أما العلاقة بين الفكرة والشيء فقد تكون مباشرة حين تفكر في شيء ملوَّن مثلاً حين تراه.

والنظرية التَّصورية، والنظرية الإشارية كذلك تقومان على الشيء الخارجي المشار إليه والرمز (الكلمة الاسم)(٣).

والأساس الثالث في نظرية دوسوسير فكرة العلاقة اللغوية The Linguistic sign وهو نظامٌ من العلاقات، مستودع من العلامات. والعلامة عنده لا تتصل باللفظ ولكنها تصل التصور بالصورة السمعية، وهو يعني "بالتصور" Singnifie أو (الشيء المعني)، وبالصورة السمعية Signifiant (المسموع) والعلاقة ليست شيئاً واحداً إنما كلاهما معاً كالورقة وجها وقفاً"(٤).

---

(١) علم الدلالة بالمر ١٤، ١٥، ٢٨، ٢٩، ٣١، ٣٢، ٣٦، وينظر: دروس في السيميائيات، ١٢، ١٥.

(٢) الدرس الدلالي في خصائص ابن جني ٦، ٧.

(٣) علم الدلالة، لأحمد مختار عمر ٥٥-٥٧، وينظر: نقض أوهام المادية الجدلية، ١٣٩-١٤١، ودروس في السيميائيات، حنون مبارك، ٣٧-٤٣.

(٤) ينظر: النحو العربي والدرس الحديث، عبده الراجحي، ٣٠، ٣١، وينظر: دروس في

وقد عقد دوسوسير الباب الرابع في القيمة اللغوية وخص الفصل الأول[1] منه بالعناصر التالية:

- اللغة من حيث هي فكر منتظم في صلب المادة الصوتية (الفكر والصوت) وتعبر الأصوات عن الأفكار.
- أن فكرنا من الناحية النفسية وبقطع النظر عن التعبير عنه بالكلمات لا يعدو أن يكون كتلة مبهمة الشكل غامضة الملامح.
- "لا يتمثل الدور الخصوصي للغة إزاء الفكر في خلق أداة صوتية مادية للتعبير عن الأفكار إنما هو أن تكون واسطة تصل بين الفكر والصوت في نطاق ظروف تجعل اتحادهما يقضي بالضرورة إلى تعيين متبادل لحدود الوحدات.
- في اللغة "لا نستطيع عزل الصوت عن الفكر ولا عزل الفكر عن الصوت، وبلوغ ذلك يقتضي منا القيام بعملية ذهنية تجريدية من شأنها أن تفضي بنا إلى طرق الموضوع من وجهة علم النفس البحت أو علم الفولوجيا البحت".
- اعتباطية الدليل تجعلنا نفهم بوضوح لم كانت الظاهرة الاجتماعية بمفردها قادرة على إنشاء نظام لغوي ما".

وخص الفصل الثاني بالنظر في القيمة الألسنية من حيث مظهرها المتصوري.

السيميائيات، ٦٩.

(١) ينظر: دروس في الألسنية العامة، دوسوسير، ١٧٢-١٧٤، ١٧٥-١٧٩، واللغة والتفسير والتواصل، ٢٥، ٩٧، ٢٠٩، والألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية) ٢١، ٢٥، ٧١، ٧٧.

وفيه النقاط التالية[1]:

- أهمية معرفة طبيعة الدليل اللغوي -الدليل والمدلول والدال- اعتباطية الدليل المتصور الذهني.
- يُفترض وجود أفكار سابقة لوجود الكلمات فهل طبيعتها نفسية أو صوتية".
- العنصرين الذين ينطوي عليهما الدليل اللغوي عنصران نفسيان معاً ويصل بينهما في دماغ الإنسان صلة الجمع والترابط، أن الدليل اللغوي لا يجمع بين شيء واسم، بل بين متصور ذهني وصورة أكوستيكية والصورة هي الأثر النفسي للصوت؛ أي: الصورة التي تصورها لنا حواسنا وهي صورة حسية حتى وإن نعتناها بالمادية.
- وهل الرابط الفكري بين الكلمة ومدلولها أو بين اللفظ ومدلوله وأيهما الأدق تسمية نجد أن التفريق بين اللفظ والكلمة في تسمية الرمز اللغوي المستخدم. يقررها إبراهيم أنيس بالتالي:

"أداة الدلالة هي اللفظ أو الكلمة وتكاد تجمع المعاجم اللغوية على أن "الألفاظ" ترادف "الكلمات" في الاستعمال الشائع المألوف... ومع هذا فالنحاة في كتبهم يحاولون التفرقة بين كل من اللفظ والكلمة في حديث طويل، تخرج منه أنهم يستشعرون مع اللفظ عملية النطق، وكيفية صدور الصوت وما يستتبع هذا من حركات اللسان والشفتين، فإذا رُبط بين هذه الأصوات المنطوق بها وما يمكن أن تدل عليه من معنى تكونت في رأيهم "الكلمة"؛ أي

(١) دروس في الألسنة العامة، دوسوسير ١٠٩-١١٢، وينظر: قضايا ألسنية تطبيقية، ٥٧، ٥٩، ٦٣، والمدخل إلى علم اللغة، لكارل ديتربونتنج، ٤٦، ٥٦، ٧١.

إن الكلمة أخص؛ لأنها لفظ دل على معنى. من أجل هذا أثرنا في عنوان هذا الكتاب أنه نستعمل الألفاظ دون الكلمات؛ لأن أوضح ما نهدف إليه هنا هو أن نتبين الصلة بين ما ننطق به من أصوات وما تدل عليه من دلالات، ونتصرف على أثر هذا المنطوق فيما يوحيه إلى الأذهان من صور(١).

ولمحاولة تحديد القضية بصورة أجلى يمكن أن نؤطرها بعلاقة الكلام بالفكر. أو اللغة بالفكر في ارتباط الألفاظ أو الكلمات أو الرموز اللغوية بدلالاتها ووقوعها على مدلولاتها ذهنياً أولاً كتصور ثم على الأعيان الخارجية استقراراً نهائياً لغرض تلك الرموز وأهداف قصد إيصالها في موقف الخطاب اللغوية والتخاطب عن طريق اللغة(٢).

إطار القضية العام:

هو جانب "الكلام والفِكْر"، و"اللغة والفكر" في ربط الألفاظ بدلالاتها في الخطاب باللغة.

والكلام والفكر من جهة الألفاظ المفردة يقصد به الرابط الذهني في جانب الرموز، فهناك جانب نفسي فكري هو الرابط الذهني بين الرمز ومدلوله؛ لأن اللغة في الذهن والفكر والرمز يقدح دلالتها في الفكر ومن هنا جاءت صعوبة الإدراك والتصور وعظم الإعجاز الرباني في هذه الهبة للإنسان(٣).

---

(١) دلالة الألفاظ، ٣٨.

(٢) ينظر: اللسانيات واللغة العربية، ٤٢-٤٤، ٤٦، ١١٠، والمدخل إلى علم اللغة، ١٧٧، ٣٣٣، ٣٣٥، ٣٤٠، واللغة وسلوك الإنسان، ٩٣-٩٥، ١٣٥-١٣٧، والتفكير اللساني في الحضارة العربية، ١١٧، ١٢٨.

(٣) ينظر: دروس في الألسنية العامة، ٤٤، ١٠٩-١١٢، ١٧٢، ومبادئ اللسانيات العامة،

"إن تحديد الروابط بين الكلام المسموع وبين الفكرة الهائمة في آفاق النفس البشرية، وما يزال يعتبر من أشد مباحث علم اللغة تعقيداً، وأكثرها طرافة في آنٍ واحدٍ. وقد رأينا أن اللغة ما هي إلا رموز صائتة يحدد بها الإنسان تجاربه الحسية أو المعنوية، بحيث لو نظرنا إلى ذلك من زاوية الألفاظ المفردة فإننا نجد أن كلاً منها هو مجرد علامة مميزة لمعنى ما يريده المتكلم بهذه اللفظ، وهو في ابتداع هذه الألفاظ ينوعها بناءً على ذلك التمييز بين الأشياء والظواهر، ثم يختزنها لتكون في النهاية مؤنته من المعرفة، وعدَّته لتبادل ما يعرف مع غيره من أبناء مجتمعه[1].

فاللغة في الرؤوس والأذهان والعقول والأدمغة، هذا مكانها، وهذا مستودعها وليست في الألسنة، وما الألفاظ والرموز اللغوية إلا قدح زناد الفكر والعقل ليستدعي الربط بين مدلول الاسم وسماع الصوت، وتطبيق ذلك على الوجود في الأعيان والخارج ليعبر الإنسان عن أغراضه ومقاصده في اللغة كما قرر ابن جني وابن خلدون[2] في تعريفهما للغة، ودورها في المجتمع فيما يعتبر بذوراً أولية لعلم اللغة الاجتماعي الذي أصبح بعد ذلك علماً له أصوله ومصطلحاته وقضاياه[3].

"فالذي يدفع إلى ذلك في الحقيقة هو ضرورة لا مفر منها للمعيشة في مجتمع هو محتاج أن يتبادل معه الأخذ والعطاء في الماديات والمعنويات جميعاً، وهكذا تصبح القيمة الحقيقية للكلمة بمقدار ما لدلالتها من وضوح

.٣٣-٢٨

(١) اللسان والإنسان، ٦٧. وينظر: المدخل إلى علم اللغة، ٦٦، ٧١، ٢٠٤.

(٢) الخصائص ١/٥، ومقدمة ابن خلدون، ١٠٥٦.

(٣) ينظر: علم اللغة الاجتماعي، ١٢-١٧.

وشيوع في ذلك المجتمع، ومن مرونة في الإحاطة بأكبر عدد من الصور الجزئية والتفاصيل الفرعية التي تدخل في نطاق هذه الدلالة"[١].

وكما أن اللغة تؤدي أغراض المجتمع والأفراد داخل المجتمع فإن العرف الاجتماعي والمواضعة، وكثرة الاستخدام اللغوي لتلك الرموز بنفس دلالاتها يعطيها قوة ورسوخاً في هذه الدلالات حتى تغدو سمات عليها تنقدح في الذهن بمجرد التلفظ بتلك الدلالات[٢].

وهذا يتم عبر المعاينة، والبيئة اللغوية التي تنمو اللغة في محيطها والمتكونة من مجموعة أفراد يتداولون اللغة عبر ممارسات دائمة ومستمرة وثابتة. حتى تصبح تلك الروابط الذهنية الفكرية تلقائية يقدحها الصوت، أو الرمز المكتوب بمجرد سماعه بالأذن أو مصافحته للعين مكتوباً، وهذا الأمر يقل أو يكثر، يشيع أو يختفي بحسب هذه العلاقة الطردية[٣].

إنَّ "التجربة الحسية أو النفسية معروفة لدى القائل والسامع، لا لشيء إلاّ لأنهما اصطلحا على أن يعطياها تلك الدلالة، ولكي يتم هذا الارتباط الوثيق بين الرمز والدلالة، بين الاسم والمسمى، ولكي يصبح الرمز الصوتي أداة مرنة لتبادل المعرفة، ولتحقيق التفاهم بين أعضاء المجتمع الواحد، يجب أن تتكرر التجربة الحسية أو النفسية المؤدية إلى هذه المعرفة مراراً كثيرة، وعلى عينات مختلفة مما يمكن أن يدخل في نطاق هذه الدلالة، وإلاّ بقي الرمز الصوتي محدوداً عاجزاً عن الشمول"[٤].

---

(١) اللسان والإنسان، ٦٧، واللغة والمجتمع، علي عبد الواحد وافي، ٩-١٠، ٦٢.
(٢) اللغة والتفسير والتواصل، ٢٥، ١٥٧، واللغة وسلوك الإنسان، ٩٣.
(٣) ينظر: قضايا ألسنية تطبيقية، ٥٧، ٥٩، ٦١، ٧١.
(٤) اللسان والإنسان، ٣٧، وينظر: قضايا ألسنية تطبيقية، ١٠، ٥٩، ٧٢، ٧٤.

ومن هنا يمكن تقسيم الارتباط الذهني والفكري بين الرمز ومدلوله إلى عام وخاص؛ عام لقاسم مشترك بين البشرية؛ بحيث تعبر اللغة المطلقة لكل قوم معينين في مجتمع (ما) عن أفكار أولئك القوم والمجتمع في بيئاتهم الخاصة. وخاص بأن تكون تلك الأفكار التواضعية العرفية ودلالات ألفاظها التي تعبر عنها ملك لمن وضع تلك الألفاظ وتواضع عليها(١).

وذلك لأن "المحتوى الفكري لألفاظ اللغة يظل ملكاً خاصاً، لمن يستعملون هذه اللغة فقط، وهذا يختلف عن الفكر المطلق المستقل عن اللفظ فهو ملك للإنسانية جميعاً، وفي المجتمع الذي يصطلح على لفظة لمعنى، تزداد قيمة اللفظة كلما كانت دلالتها عامة شاملة -كما قلنا- واسعة التداول في هذا المجتمع. فالكلمة التي تدل على معناها دلالة عينية -أي تدل على شيء واحد بذاته- كلمة مكتوب لها أن تحمل قيمة فكرية محدودة جداً(٢)، إنَّ الفكر الخاص الذي تحمله لغة الفرد بخصوصه تتجلى في كلامه النفسي لذاته أكثر من تجليها في ما ينتجه من صوت ولفظ. إذ يخضع هذا المنتج من الأفكار عبر الصوت واللفظ والتركيب إلى تصفية وتهذيب وتنقيه وتمحيص لما يريد المتكلم أن يَبْرُز به للناس من فكر وذهن ووجدان، فإذاً هو صورة غطية مقصوده لما يريدنا المتكلم أن نعرفه به ونعرّفه به ونتعرف إليه من خلاله، وكذا نتعامل معه على هذا الأساس، ولكن الصورة الحقيقية لفكرة وذهنية بأجلى صورها هو ما أخفاه في كلامه الباطن لنفسه.

---

(١) ينظر: قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، ٣٠، ٦٥، ٨٨، وعلم اللغة الاجتماعي ٢٦، ٣١، ١٦٦، ١٨٩.

(٢) اللسان والإنسان، ٦٨، وينظر: قضايا ألسنية تطبيقية، ١٣، ١٤، ٦٣.

فالأصل في وضع الألفاظ إذن أن تكون كل منها علامة صوتية دالة على "معقول" أو "متصور" يندرج فيه ما لا يتناهى من المحسوسات أو الأعيان".

ومعلوم أن الدلالات للألفاظ والعلاقات بينهما توظف في دلالات التراكيب والأساليب بعلائق أوسع؛ لأن اللغة تستخدم نصوصاً وليس ألفاظا.

"وإذا كانت مجموعة ألفاظ لغة من اللغات هي الرموز الاصطلاحية الدالة على المتصورات المعروفة لدى أهل تلك اللغة، فإن اللغة نفسها -أي الكلام المركب المفيد- هو التصوير الشفوي للنسب القائمة بين هذه المتصورات بعضها ببعض"(١).

ويمكن لدراسة أو دراسات أن تقوم على عرض ونقد وتقويم الدراسات التي جمعت بين اللغة والفكر في قضية من قضايا علم اللغة الحديث. وهذا جانب فيه بعض الجهود، ولكن القضية لا زالت تستوعب تحريراً وعرضاً وتدقيقاً وإن كان يصعب الجزم في النهاية برأي أو حقيقة؛ لأن طبيعة القضية هنا فكرية ذهنية دقيقة. والمدارس التي تناولتها مختلفة المناهج والتوجهات وآليات المعالجة والبحث.

فمن العلماء المحدثين الذين تناولوا بالتحليل والنقد والتكميل، قضية اللغة والفكر اللغوي الروسي المعاصر ليف سمينوفيتش فيجوتسكي في مجموع من بحوثه يحتوي على سبعة أبحاث في كتاب واحد عنوانه "الفكر واللغة" ترجم إلى اللغة الإنجليزية ونشر في الولايات المتحدة سنة ١٩٦٢م. وأيضاً مجموعة مقالات للغوي الأمريكي بنيامين لي وورف بعنوان (اللغة

---

(١) اللسان والإنسان، ٦٩، وينظر: التفكير اللساني في الحضارة العربية، ٥٠-٥٥، ٧٢-٧٥.

والفكر والحقيقة) ظهر سنة ١٩٥٦م. يضاف إلى هذا أبحاث حديثة أخرى أهمها البحث الطويل القيم الذي شق الطريق لمئات الباحثين من ورائه وهو كتاب "الفكر واللغة" الذي نشره في أوائل هذا القرن اللغوي الكبير فردينان برينو، وكذلك كتاب الفيلسوف البريطاني برتراند راسل "دراسة في المعنى والحق"، وأخيراً كتاب العلامة الإنجليزي سيمون بوتر "اللغة في العالم الحديث". والذي يستوقف في قضيتنا هنا ما ذكره الدكتور حسن ظاظا: "استوقفنا في المقال السابع من كتاب العالم الروسي فيجوتسكي الذي عنوانه "الفكرة والكلمة" قوله إننا في دراسة الصلة بين التفكير والكلام لا نجد أي ارتباط نوعي بين أصول الفكر وأصول الألفاظ لدرجة أنه تبين لنا أن هذا الارتباط في آذان المتكلمين إنما كان نتيجة التطور التاريخي للوعي الإنساني"(١).

إنَّ فيجوتسكي ينتقد طرق ومناهج الدراسة التجريبية لتكوين الدلالات أي المتصورات اللغوية في العقل والإدراك ويقسمها إلى شعبتين طريقة التعريف وطريقة التجريد ووسائلها النفسية، ويحدد طريقة جديدة تقوم على تحديد الدلالي المعنوي في نفس المتلقي بعد أن يسمع مجموعة من الألفاظ الارتجالية، وتابعه عالمان هما "آتش" و"ريمات" الذي انتهى من تجربته "إلى أن الإدراك بمعناه الحقيقي، أي القابلية لأن تقوم في الذهن متصورات حقيقية، يفوق طاقة مَنْ هم دون سن المراهقة، ولا يبدأ ذلك إلا مع البلوغ. ثم ينقل المؤلف نصاً من ريمات يقول فيه: "لقد ظهر لنا بشكل قاطع أن زيادة كبيرة في قدرة الطفل، بدون مساعدة، على تكوين متصورات موضوعية

(١) اللسان والإنسان، ٧٠، وينظر: المدخل إلى علم اللغة، ٤٦، ٤٨، ٥٦، ٦٤، ٦٦-٧٣.

عامة تتجلى في حدود السنة الثانية عشرة من عمر الطفل"[١].

ومن الباحثين العرب المعاصرين الذين أشاروا إلى القضية هنا تمام حسَّان[٢]، حيث يقرر أنَّ الجانب الذهني في علاقة الرمز بالمعنى أنواع ثلاثة، ففي العلاقة الطبيعة الربط بين الدال والمدلول هو الرابط النفسي والأثر الوجداني الذي تتركه تلك الألفاظ في النفس، أو العادات المطردة للطبيعة التي تربط الرمز بمدلوله. وليس العلاقة العرفية الذهنية المنطقية هي من يقوم بذلك.

لقد وجد البلاغيون والأسلوبيون والأدباء والشعراء ظالتهم في هذا النوع من الدلالة، والعلاقة الطبيعة بين الدال ومدلوله فرصدوا مظاهرها، ووظفوه في نصوصهم. وبفضل هذا التوجه أصبح ممكناً الكشف عن هذا الجانب في اللغة بوضوح مع تقدم الدراسات الجمالية والنفسية، والسيميائية واللغوية وبذل البلاغيون العرب جهودهم عن هذا الكشف.

ثم إنّ العلاقة الثانية العرفية؛ وهي علاقة اعتباطية لا سند لها إلاَّ ما يقع من المواضعة في المجتمع بدون رجوع إلى الطبيعة وإلى الذهن، ولكن بعد الاتفاق العرفي والممارسة اللغوية يصبح هناك ارتباط ذهني قطعاً.

ومن العناصر الهامة في الرابط الفكري ارتباطه بالتذكر والاستدعاء والتداعي والاستذكار، وهذه جوانب فكرية مشوبه بجوانب وجدانية خفية وهي مجهولة الكنه والحقيقة تشريحياً والمعروف هو آثارها، أما كيفية حدوث هذه العلاقة الذهنية فهو عصي على التشخيص[٣].

---

(١) اللسان والإنسان، ٧١، وينظر: قضايا ألسنية تطبيقية، ٦٣، ٧١، ١٠٣.
(٢) ينظر: الأصول، ٣٢١-٣٢٣، ودروس في السيميائيات، ٢١-٢٩، ٣٧.
(٣) ينظر: التفكير واللغة، ١١٣، ١٧٠.

والعلاقة الذهنية تسود في الاستقراء والاستنباط والاستدعاء، وفي "المنطق الطبيعي"، وحين تتحد هذه العلاقة بالعلاقة العرفية ينشأ المعنى العلمي أو المعنى الأدبي: الأول مع الاستقراء والاستنباط، والثاني مع الاستدعاء والمنطق الطبيعي المادي.

ويرسم تمام حسّان للعلاقة الذهنية التفريع التالي[1]:

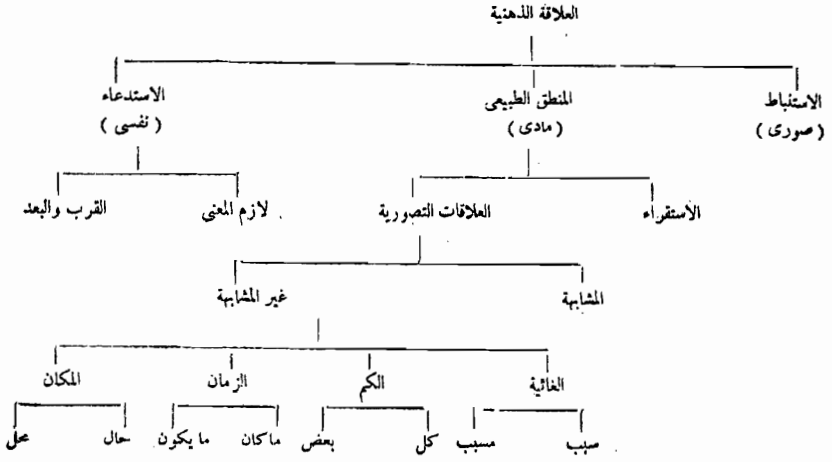

إنَّ القياس والنظر والموازنة بين الأقيسة مما يؤدي إلى استنباط النتائج وقياس اطرادها وتواترها أو عدمه. كل هذا مقايسه ذهنية فكرية نمت وتمت عند القدماء.

"أن القياس الصوري (وهو المقصود بالاستنباط) يعتمد على لزوم النتيجة عن المقدمتين، وبذلك يكون أساسه "الاستلزام". فعلاقة الاستلزام علاقة ذهنية بين المقدمتين. والنتيجة وقد أعانت باطراد قيامها بين هذين

(١) الأصول ٣٤٠-٣٤١.

الطرفين على بناء صورية قياسية لا تتخلف، وإذا كان القياس الناتج نفسه من قبيل المنطق الصوري، فإن علاقة الاستلزام (وإن كانت علاقة ذهنية) تعد من قبيل المنطق الطبيعي المادي، أو بعبارة أخرى، تعد جزءا من تركيب الفعل الإنساني...، وهذا الاستقراء والمقايسة ومحاولة الوصول إلى الاستلزام والاقتضاء وإلحاق الأشباه والنظائر ببعضها يكون عند قصور اللفظ الدال، وخفاء الرابط الذهن المباشر والواضح المحدد سلفاً في التوافق العرفي، أمّا لجهالة المتلقى له، وإما بنسيانه فلهذا يقوم بهذه المقايسات. وهذه العملية بكاملها ولأيٍ من دواعيها هي عملية فكرية ذهنية بحتة[1].

والاستقراء العقلي والاستدعاء الذهني هما جانبان جليان ذهنيان في إدراك المتصورات وهو منهج ووسيلة يؤدي إلى غاية قد تكون في الغالب سليمة صحيحة. وقد تؤدي عملية الاستقراء، "الوصول بالعقل من الاستقراء إلى فرض يراه الباحث أولى بالاعتبار من فروض أخرى غيره قد تكون ممكنة. فاختيار هذا الفرض دون غيره إنما يقوم على علاقة ذهنية بين الاستقراء الذي قام به الباحث وبين النتيجة المفروضة، على أن هذه العلاقة الذهنية ليست يقينية في هذا الموضع، وإلا لما سمى القرار "فرضاً"، ولما احتاج هذا الفرض إلى تحقيق، وتحقيق الفرض أيضاً يقوم على ما يلزم عن ترابط الثبات والتكرار والهوية، وكل أولئك من المنطلق المادي، ومن وسائل المنهج العلمي.

وهنا ندخل إلى الفكر النخبوي في الربط؛ وهو أمر زائد على الفكر

---

(١) الأصول ٣٤٢ بتصرف، وينظر: دروس في السيميائيات، ٧، ١٠، ١٦، والتفكير اللساني في الحضارة العربية، ١٠٧-١١٧.

المقصود في الربط بين الدال والمدلول، والمتاح لكل مستخدم للغة، بل هذا فكر وتفكير في أمور زائدة عن حاق اللغة باصطلاحات ومفاهيم علمية خاصة.

إن اتحاد العلاقة العرفية مع هذا الجانب من العلاقة الذهنية ليبدو في صورة "المصطلح العلمي"، لأن المصطلح عرفي، ولكنه ينتمي إلى عرف خاص بفئة دون كافة الناس".

"ويبدو الفرق بين العرف العام (اللغوي) والعرف الخاص (الاصطلاحي) في التعريفات التي توضح المفاهيم العلمية، كأن يقال مثلا: "الزكاة لغة النماء والزيادة، واصطلاحاً قدر يؤخذ من مال الغني ليرد على الفقراء والمساكين وبقية المصارف"[1].

ومن قبل هذا الجانب الفكري الحديث عن المتشابهات، والمتجانسات والمتضادات، والمشتركات من الظواهر اللغوية. وربطها في علاقات تصورية مقارنة حتى تتجلى الجوانب الذهنية في روابط المفردات بدلالاتها وإن اختلفت مناهج دراستها حسب مستويات اللغة من نحو، وتركيب، ودلالة، وأسلوب، ونص لغوي مجمل.

"ومن قبيل العلاقات الذهنية العلاقات التصورية (أو العلاقات بين التصورات) كالترادف، والتضاد، والعموم، والخصوص، والعلاقات التدريجية والانتسابية، والتنافرية، والتصنيفية، ونضيف هنا أن البلاغيين اختاروا عدداً من العلاقات وقسموها إلى مشابهة وغير مشابهة، وسنرى فيما بعد أن علاقة المشابهة تميز بها التشبيه بأنواعه والاستعارات المختلفة، وأن

(١) الأصول ٣٤٢.

علاقات غير المشابهة تميز بها المجاز المرسل، ولكن علاقات غير المشابهة لم تكن علاقات بسيطة وإنما كانت مركبة من طائفة من العلاقات، قام بعضها على الغائية كالسببية والمسببية وبعضها على الكم كالكلية والبعضية، وبعضها على الزمان كاعتبار ما كان وما يكون، وبعضها على المكان كالحالية والمحلية، وكل أولئك علاقات ذهنية بين الرمز ومدلوله"[1].

والاستدعاء له بالغ الأهمية في الجانب الفكري وهو قضية دلالية استوعبها القدماء من البلاغيين، والنقاد، والأصوليين، وأهل اللغة وهو مقابل للاستقراء وهو منهج عقلي منطقي آخر. "بقي من العلاقات الذهنية ما يعرف باسم "الاستدعاء"، وهو ينفرد عن الاستقراء والتصور بطابع نفسي خاص أدركه ولكنني لست ممن يحيط بوصفه وكذلك أدركه البلاغيون من قبل فاستطاعوا أن ينتفعوا ببعض جوانبه ككلامهم فيما سموه "المعنى البعيد" في الكناية، والتورية والإبهام، والتوجيه والاستخدام والقول بالموجب، ونحو ذلك"[2].

وكل هذه الأنماط الثلاثة قد تظافرت وتكامل بها القدماء كوسائل لدراسة اللغة وتحليل دلالاتها وخصوصاً في الجانب الفكري والذهني وربط المتصورات العقلية بالرموز اللغوية من قبل اللغويين، والبلاغيين، والنقاد، والأدباء، وأهل الفلسفة والمنطق، وعلم الاجتماع اللغوي.

نخلص من كل هذا إلى أن البلاغة تنظر في أنواع العلاقات الثلاثة التي تربط الرمز بالمعنى فتنظر في العلاقة الطبيعية في تأليف الألفاظ، ومحاكاة

---

(١) الأصول، ٣٤٣.

(٢) ينظر: الأصول، ٣٤٣.

المعاني، ووزن الشعر، وقافيته وفي المحسنات البديعية القائمة على التصرف في اللفظ كالسجع والجناس، وتنظر في العلاقة العرفية في الكلام عن الحقيقة والمجاز وفي مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وفي الفصاحة ونحو ذلك، ثم تنظر في العلاقة الذهنية في التشبيهات والاستعارات والكنايات والمحسنات المعنوية[1].

وعلى الجملة فقد تركّزت كثير من جهود المحدثين من اللغويين العرب على بيان سبق العرب في المنهج اللغوي، وإحكامه وضبطه ودقة النتائج التي توصلوا إليها، رغم قلة الإمكانات فاستعاضوا عن ذلك بولعهم باللغة وشغفهم بها وبخصائصها فتنالوا جزئيات دقيقة كانت نتائجهم فيها في منتهى التوفيق والإحكام والإلهام.

وهكذا يمكن ملاحقة وتفريع قضية الرابط الذهني الفكري بين الرمز ودلالته عند المحدثين في إطاره العام وكلياته كما يمكن أن نتتبع بعض القضايا التي يتجلى فيها ذلك الرابط الذهني الفكري بين الرمز اللغوي ودلالاته، وكيفية قيامه بالربط، وهذا محط الحديث في المبحث التالي الذي يحاول تلمس الجوانب الذهنية والفكرية في علاقة الألفاظ بدلالاتها، واستخدام اللغة رابط ووسيلة لتلك الذهنيات والأفكار.

---

(١) الأصول، ٣٤٣.

المبحث الثالث

نماذج من قضايا جوانب ارتباط الجانب الذهني والفكري في علاقة الدال بالمدلول

سيرد في هذا المبحث ستة نماذج تطبيقية منها ما هو منهجي، ومنها ما هو من طبيعة اللغة وقضاياها، وهي مرتبة على هذا النحو:

(١) الجانب الذهني والفكري بين الدَّال والمدلول في منهج المدرسة السلوكية:

المدرسة السلوكية عرفت كأحد المدارس ذات المنهج المختلف في التحليل الدلالي، وتفسير علاقة اللغة بالإنسان وطريقة ممارسته لها، وكيف يخدم بها أغراضه وهي في مقابل مدارس أخرى كالتَّصورية، والإشارية، والتحليلية لها تميز نوعي في المنهج والطرح، وقد أثارت جدلاً واسعاً[١].

فرغم ما توصف به المدرسة السلوكية أنها تتجاهل الجانب الذهني والفكري والاستنباطي والاستدعائي في علاقة الدال بالمدلول، وفي عموم منهجها التحليلي اللغوي، إلاّ أن في المثير والاستجابة بين الرمز ومدلوله في

---

(١) ينظر: قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، ٥٨، ٦٥، ١٧٧، ١٩٥، واللغة تدريساً واكتساباً، ٢٧، ٥٩، ١٣١، ١٦٨، ومناهج علم اللغة من هرمان بول حتى ناعوم تشومسكي، ٨٣، ١٩٩، ٢١٨، وعلم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ٣١٧، واللغة والفكر، بول شوشار، ١٨٧-١٨٩.

المدرسة السلوكية جانب ذهني، فالمثير والاستجابة في المدرسة السلوكية بين الرمز ومدلوله مركب من التداعي الذهني الفكري، والاستتباع العقلي.

وفيه أيضاً جانب نفسي وجداني هو الذي يثير هذا الجانب الفكري، ولهذا الجانب صورة صوتية كتابية بقيمة ذاتية. ومن هنا دخلت المدرسة السلوكية ورائدها بلومفيلد على خط النّقد لدى الدارسين في نهجها التحليلي والسلوكي. حيث "تركز النظرية السلوكية (Behavioral theory) على ما يستلزمه استعمال اللغة (في الاتصال)، وتعطى اهتمامها للجانب الممكن ملاحظته علانية، وهي بهذا تخالف النظرية التصورية التي تركز على الفكرة أو التصور"[1].

هذا في مجمل نهجها، أما في تركيزها على المثير والاستجابة لاستخدام واستعمال الرمز الدّال فهذا جانب ذهني فكري محض كما سبقت الإشارة رغم اتهامها من قبل الكثيرين أنها أغفلت الجانب الذهني والفكري في علاقة الدال بالمدلول[2]، وسيأتي لهذا مزيد بيان.

وقد سيطرت السلوكية على حقل السيكولوجيا الأمريكي لفترة طويلة، ولكنها صارت اليوم أقل قبولاً مما كانت عليه منذ عشر سنوات ، أو نحو ذلك[3].

وتقوم السلوكية بوجه عام على جملة أسس كما يقرر د. أحمد عمر منها[4]:

---

(١) علم الدلالة، أحمد مختار عمر ٥٩، وينظر: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ٣٣٢.

(٢) ينظر: دراسات في علم اللغة الوصفي والتاريخي والمقارن، ٧٩، ٨٠، واللغة والفكر، بول شوشار، ١٧٤، ١٨٨.

(٣) علم الدلالة، أحمد مختار عمر ٥٩. وينظر: العربية وعلم اللغة البنيوي، ١٢٤.

(٤) علم الدلالة، أحمد مختار عمر ٥٩. وينظر: العربية وعلم اللغة البنيوي، ١٢٣-١٢٤،

١- التشكك في كل المصطلحات الذهنية، مثل العقل والتصور والفكرة، ورفض الاستبطان كوسيلة للحصول على مادة ذات قيمة في علم النفس، وتوجب على عالم النفس أن يقصر نفسه على ما يمكن ملاحظته مباشرة، وذلك بأن يعني بالسلوك الظاهر، وليس بالحالات والعمليات الداخلية.

وتطبيق ذلك على اللغة يعني التركيز على الأحداث الممكن ملاحظتها وتسجيلها، وعلى علاقتها بالموقف المباشر الذي يتم إنتاجها فيه، ومن هنا أطلق بعضهم على اللغة مصطلح السلوك النطقي (verbal behaviour)، أو السلوك اللغوي (Language behavior)، كما يعني معالجة الفكر كسلوك، والتخلي عن مفاهيم مثل الإدراك والإحساس والشعور.

٢- اتجاهها إلى تقليص دور الغرائز والدوافع والقدرات الفطرية الأخرى، وتأكيدها على الدور الذي يلعبه التعلم في اكتساب النماذج السلوكية، وتركيزها على التربية أكثر من الطبيعة، ونسبة الشيء الكثير للبيئة، والشيء القليل للوراثة، مما يعني أن الملكة اللسانية أو الاستعداد اللغوي الفطري مهمل لديها.

٣- اتجاهها الآلي أو الحتمي الذي يرى أن كل شيء في العالم محكوم بقوانين الطبيعة.

٤- أنه يمكن وصف السلوك عند السلوكيين على أنه نوع من الاستجابات (responses) لمثيرات ما (stimuli) تقدمها البيئة أو المحيط (environment)، وهذا الأخير بالذات هو ما يمكن عند التأمل،

والقضايا الأساسية في علم اللغة، ٣١، ١٥١.

وإمعان النظر العثور فيه على ما سبق وأن نفته المدرسة السلوكية في أساسها الأول وهو استبعاد ما ليس بظاهر من أمر اللغة؛ بحيث نجد في المثير والاستجابة، الذهني والرابط العقلي الانقداحي الاستدعائي بكل تجلياته ووضوحه. فهل يقال أن هذه المدرسة ناقضت نفسها، وأن هذا هو السبب في سرعة تهاوي بنيانها وأنها قامت على أساس غير متين في التحليل والبناء اللغوي عندما نظّرت باستبعاد الذهني والفكري وعجزت عن إثبات ذلك تطبيقاً.

ولو عدنا إلى هذه النقاط الأربع بالتقويم -رغم وجاهتها إجمالاً- لوجدنا أن فيها تعميماً من ناحية، ومراعاة التوجه العام والإطار الأساس للمدرسة بعيداً عن بعض أعلامها الذين نجدهم يتلاقون في الجانب الفكري الذهني في علاقة الدال بالمدلول مع غيرهم من المبرزين في علم اللغة ونتائجه المستقرة، كتلاقي بلومفيلد وهو زعيم المدرسة السلوكية مع دو سوسير صاحب المنهج الوصفي في اللغة[1]. مما جعل بعض الباحثين يدعو إلى تفهم أعمق لمنهج وتوجه السلوكيين في هذه الجزئية، كما سيتبين لاحقاً.

أما القضية الشهيرة عند السلوكيين في علاقة الدال بالمدلول والمتمثل في المثير والاستجابة فقد كرَّرته الدراسات والأبحاث التي ركَّزت على هذه القضية بأكثر مما يحتمله حجمها بالنسبة لقضايا المدرسة الأخرى[2].

والشكل الذي يستعمل عادة لتمثيل العلاقة بين المثير والاستجابة هو:

---

(١) ينظر: دروس في الألسنية العامة، ٣٤٩، ودراسات في علم اللغة الوصفي والتاريخي والمقارن، ٦١، ٧٨-٨٠.

(٢) ينظر: دراسات في علم اللغة الوصفي والتاريخي والمقارن، ٥٩-٦٢، ونظرية تشومسكي اللغوية، تأليف جون لاينز، ترجمة د. حلمي خليل، ٣٩، ٦١-٧٢.

م ←—— س

(م = مثير، وس =استجابة)

والسهم هنا يمثل علاقة عَرضية المثير سبب، والاستجابة أثره، ونموذج السلوك يعد سلسلة من المثيرات، الاستجابة هكذا:

(م١ ←—— س١) ←—— (م٢ ←—— س٢) ←—— (م٣ ←—— س٣)

..

فالكلمة الأولى للحدث الكلامي تنتج كاستجابة (س١) لبعض المثيرات الداخلية (م١)، وإنتاج (س١) يخدم كمثير فيصبح (م٢)، ويكون مثيراً للكلمة الثانية (س٢)... وهكذا. وعلى الرغم من أن Bloomfield سُبق بصياغات مبكرة للتصوير السلوكي في آراء Watson ثم Weiss، فقد لاقى رأي Bloomfield اهتماماً أكبر؛ لأن Bloomfield يعد واحداً من أكثر اللغويين تأثيراً في تطور الدراسة العلمية للغة في النصف الأول من هذا القرن، وهو -أكثر من غيره- المسئول عن تقديم المذهب السلوكي إلى علم اللغة[1]. وتبعاً لهذا الاهتمام بهذه الشّخصية الكاريزمائية اللغوية فقد ناله تتبع دقيق مستمر حتى جعلوا له منهجاً قديماً وجديداً ومراجعات علمية، وكل ذلك عند التمحيص لا يعدو كونه سيرورة طبيعة فكرية لعالم يحاول أن يمارس مسايرة اللغة وضبط مناهجها. وما يقال عن تركه الاتجاه العقلي ثم العودة إليه فإنه مرهون بتفسير، وتفهم سلوك ومقاصد بلومفيلد في منهجه اللغوي الدلالي، والذي لم يخل من الرابط الذهني والفكري في تفسير دلالات اللغة نظراً

---

(١) علم الدلالة ، أحمد مختار عمر ٦٠. وينظر: العربية وعلم اللغة البنيوي، ١٢٣-١٢٤، واللغة والفكر، بول شوشار، ١٧٢-١٧٤.

لاستحالة ذلك الفصل بحسب طبيعة اللغة وبحسب منهج بلومفيلد نفسه.

ومن هذا التتبع الدقيق لبلومفيلد ما قرره الدكتور أحمد عمر بأنه "وجد عند Bloomfield في أعماله المبكرة ميل إلى الاتجاه العقلي،Mentalistic Approach ولكن بمجيء عام ١٩٢٦م هجر بلومفيلد هذا الاتجاه، ومال نحو مبادئ Weiss السلوكية، ونتيجة لهذا أقر بلومفيلد الاتجاه بأن المعنى يتألف من ملامح الإثارة وردة الفعل القابلة للملاحظة والموجودة في المنطوقات، وعرّف معنى الصيغة اللغوية بأنه "الموقف الذي ينطقها المتكلم فيه، والاستجابة التي تستدعيها من السامع". فعن طريق نطق صيغة لغوية يحث المتكلم سامعه على الاستجابة لموقف، هذا الموقف، وتلك الاستجابة هما المعنى اللغوي للصيغة[١].

وكما ذكرت سابقاً هذا لا يمكن أن يتم بدون تجريد ذهني عقلي فكري يستلزم الاستدعاء مما يشكك في تخلي بلومفيلد عن الاتجاه العقلي ابتداءً كما توهم من توهم إذ تأبى طبيعة الدال والرمز اللغوي ذلك فارتباط اللغة بالفكر أمر محسوم مقرر.

وقل قبل بلومفيلد اتجاهين عامين في مذهبه السلوكي:

١- عدم الثقة في العقلية.

٢- إيمان بالحتمية التي كثيراً ما أشير إليها بالوضعية positivism والفيزيقية physicalism[٢].

---

(١) علم الدلالة،أحمد مختار عمر ٦١. وينظر: العربية وعلم اللغة البنيوي، ١٢٤.

(٢) علم الدلالة، أحمد مختار عمر ٦١، وينظر: نظرية تشومسكي اللغوية، ٦١، ٦٢، ٦٣.

وهو يشرح ذلك برواية قصة توضح ظروف الكلام التي يعيدها إلى ثلاثة:

أ - أحداث علمية تسبق عملية التكلّم.

ب- عملية التكلّم.

ج- أحداث عملية تلي عملية التكلّم.

ثم يفرّق بين نظريتين لتفسير الكلام:

الأولى: عقلية mentalistique تُرجع السلوك الإنساني إلى الروح، أو العقل، أو الإرادة، أي: إلى عوامل غير فيزيائية ملموسة، وهذه العوامل لا تخضع للوصف العلمي.

والثانية: مادية mentalistique أو آلية mentalistique، تعيد التصرّفات الإنسانية إلى مؤثرات البيئة، وهذه النظرية صالحة لدراسة السلوك الإنساني بنظره[1].

ومع هذا فإن هذا تقسيم نظري لا يثبت في واقع التطبيق العملي أكثر منه تقسيماً عملياً؛ إذ العملي يستلزم الأمرين معاً العقلي والمادي؛ لأنهما الجزئين المكونين لِلُّغة، ولا يمكن تحليل اللغة وعلاقة الدال بالمدلول بعيداً عن الأمرين معاً.

وهذان الأمران ليس متكاملين حتى يمكن الاكتفاء بأحدهما في بيان العلاقة بين الدال والمدلول بل هما أمران متلازمان وجود أحدهما يقتضي الآخر ضرورة.

وبالجملة فقد كان تركيز السلوكيين عموماً وعلى رأسهم بلومفيلد على

(١) فقه اللغة وخصائصها، إميل يعقوب ٩٢، وينظر: العربية وعلم اللغة البنيوي ١٢٢-١٢٥.

الممارسة اللغوية بصفتها سلوكاً طاغياً إلى درجة أخفت المعالم الفكرية والذهنية في أصول منهجهم في تناول اللغة، والدلالة. مركزين جهودهم إلى ما يمكن ضبطه من قوانين اللغة المادية. وهم يقتربون كثيراً في هذا من منهج الشكليين الذين يهتمون ببنية اللغة السطحية الصَّوتية. ولذا فقد رفض "تشومسكي كل الذي جاء به بلومفيلد ونادى بالأصول العقلية التي نادى بها سابير ومن قبله ديكارت"(١). فقد شاع أن بلومفيلد والمدرسة السلوكية رفضت دراسة المعنى وركزت على الجانب المادي.

"والواقع أن بلومفيلد لم يرفض دراسة المعنى، بل لقد أشار إلى أهمية العلاقة بين الصوت والمعنى، وإنما كان اهتمامه موجهاً إلى الكشف عن القوانين العامة التي تحكم السلوك اللغوي والتي قد تؤدي إلى الكشف عن القوانين التي تحكم النفس البشرية. ومن ثم كان مقتنعاً بأن أقحام الجانب الدلالي قد يعوق الوصول إلى هذه القوانين، ولذلك رأى أنه لكي نعرف المعنى معرفة دقيقة، لابد أن نكون على علم دقيق بكل شيء في عالم المتكلم، والمعرفة الإنسانية لم تصل بعد إلى هذه الدرجة"(٢).

ويعلق الدكتور حلمي خليل على نهج بلومفيلد ذاك واصفاً إياه بالفكر اللغوي التقليدي بقوله:

"بذلك أصبح بلومفيلد نبي الدعوة إلى نبذ العقلانية في علم اللغة وإحلال المذهب الشكلي الآلي، الذي به تتحقق الموضوعية أو بعبارة أخرى،

---

(١) ينظر: العربية علم اللغة البنيوي، ١٢١. وينظر: النحو العربي والدرس الحديث بحث في المنهج، ٢١، ١٠٩، ١١١.

(٢) العربية وعلم اللغة البنيوي، ١٢٥. وينظر: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ٣١٧، ٣٣٢.

الاستعاضة عن التعريفات العقلية للعناصر اللغوية التي كان يدور حولها الفكر اللغوي التقليدي بدراسة سلوك هذه العناصر داخل البنية اللغوية من خلال المواضع والمواقع التي تحتلها في الكلام"[1].

وهذا يلمح منه إلى أن بلومفيلد لم يكن يدرك ماذا يؤدي إليه النهج السلوكي البحت، وإلغاء العوامل العقلية والذهنية والاستبطانية في اللغة، فركّز على جزئية وأهمل الباقي فجاءت النتائج غير مرضية في هذا المنهج التحليلي اللغوي.

(٢) النظرية التصورية للجانب الذهني والفكري في علاقة الدال بالمدلول.

وهذا ينبهنا إلى الجانب الذهني في المدرسة التَّصورية وهي النظرية المعاكسة للمدرسة السلوكية التي تنفيّ الذهني والفكري في ظاهر منهجها. والذي يظهر في تسمية المدرسة التصورية أنها ستكون مغلّبة للجانب الذهني العقلي والفكري على اللغة، ومناهج تحليلها، وكشف دلالتها، وهذا ما سنتبينه في ثنايا هذه الجزئية هنا.

"فقد وجدت الصور الكلاسيكية للنظرية التصورية Ideational theory (أو Imag theory)، أو النظرية العقلية Mentalistic theory عند الفيلسوف الإنجليزي John Locke (القرن السابع عشر) الذي يقول: "استعمال الكلمات يجب أن يكون الإشارة الحساسة إلى الأفكار. والأفكار التي تمثلها تعد مغزاها المباشر الخاص. وهذه النظرية تعتبر اللغة "وسيلة أو أداة

(١) العربية وعلم اللغة البنيوي، ١٢٥. وينظر: تشومسكي فكرة اللغوي وآراء النقاد فيه، ٥١-٥٨.

لتوصيل الأفكار"، أو "تمثيلاً خارجياً ومعنوياً لحالة داخلية"، وما يعطي تعبيراً لغوياً معنى معيناً استعماله باطراد (في التفاهم) كعلامة على فكرة معينة"[1].

وهذا يجرنا إلى الجانب الذهني والفكري في المدرسة التصورية والنظرية التصورية العامة. حيث الجانب العقلي والفكري لروابط اللغة والألفاظ بمدلولاتها ودلالاتها حاضر في هذه المدرسة، سواء أكان الاعتبار في معنى الكلمة هو الفكرة، أو الصورة الذهنية، أو العلاقة بين الرمز والفكرة، وهل المعنى هو الفكرة وهل هي ملك للمتكلم أم حق للسامع؟ سجال بين المدرسة السلوكية والتصورية، وهو ما جعل المناهج التي تميل إلى جعل المعنى موضوعياً وعلمياً ترفض النظرية التصورية[2]. ونجد جذور هذه المدرسة في أبحاث الفلاسفة، وأهل المنطق من أرسطو، إلى الهنود القدماء، إلى فلاسفة المسلمين، وكذا عند علماء الأصول، والمنطق والذين تناولوا الظاهرة اللغوية بمنهج مختلف عن تناول أهل اللغة، ولكنه عاد بالنفع والعمق على اللغة ومناهج تحليلها عندما انتبه له أهل اللغة وضمنوه مناهجهم قديماً وحديثاً في مباحث علم اللغة، والعلاقة بين الدال والمدلول ذهنياً.

والنظرية التصورية تقتضي بالنسبة لكل تعبير لغوي، أو لكل معنى متميز للتعبير اللغوي أن يملك فكرة، وهذه الفكرة يجب:

١- أن تكون حاضرة في ذهن المتكلم.

٢- المتكلم يجب أن ينتج التعبير الذي يجعل الجمهور يدرك أن الفكرة

---

(١) علم الدلالة، أحمد عمر، ٥٨. وينظر: نظرية تشومسكي اللغوية، ١٦٧، ٢٣٣.

(٢) علم الدلالة، أحمد عمر، ٥٨.

المعينة موجودة في عقله في ذلك الوقت.

٣- التعبير يجب أن يستدعي نفس الفكرة في عقل السامع.

(٣) "قضية الإشارة في الجانب الذهني":

وهذه القضية حكم بين السلوكية والتَّصورية في تضمين الفكري والذهني في العلاقة بين الدال والمدلول، حيث نجد ثلاثة مصطلحات هي "العلامة" أو "الإشارة" أو "الرمز". والحديث في العلاقة، وماهيتها، وأقسامها، واللغوي منها وغير اللغوي يطول[١] نتركه "مكتفين هنا بتقرير بعض الحقائق العامة[٢]:

١- من أن العلاقات تمثّل الأشياء الموجودة والأشياء المنعدمة وأن ما يقرّ وجود هذه الأشياء أو انعدامها هي الطبيعة الخاصّة للعلامات لا وجودها.

٢- من أن التمييز بين الشيء الممثل هي من متطلبات كل علامة وأن الشيء الواحد على حسب حالته قد يكون رامزاً أو مرموزاً إليه.

٣- من أن نفس الشيء قد يكون في آن واحد الشيء والعلامة، وأن ما يخفيه الشيء من حيث هو شيء يبديه من حيث هو علامة كالرماد الساخن يخفي النار إذا ما كان شيئاً ويكشف عنها إذا ما كان علامة.

٤- من أن فكرة الشيء الرامز هي التي تنبّه في الحواس فكرة الشيء المرموز إليه، وأنه طالما بقي هذا الأثر قائماً؛ أي طالما بقيت هاتان الفكرتان

---

(١) ينظر: مناهج البحث في اللغة، ٢٧٨، وعلم الدلالة، ٥٤، ٥٥، ودور الكلمة في اللغة، ٨٠، وعلم الدلالة، جون لاينز، ٣٥-٤٢.

(٢) مدخل في اللسانيات، ٤٦، ٤٧، وينظر: دور الكلمة في اللغة، ٧٦، ومقدمة لدراسة علم اللغة، ١٤٧.

في حالة تنبيه فإن العلامة تبقى قائمة ولو انعدم الشيء في ذاته.

"فالصوت لا ينقل الشيء وإنما فكرة الصوت هي التي توحي بفكرة الشيء، ويقول أرنو، مبرزاً انعكاسية هذه الحركة: "تنبّه فكرة الشيء فكرة الصوت وتحثّها، كذلك فكرة الصوت تحثّ فكرة الشيء وتنبّهها". فـ"ليست الكلمات أصواتاً فقط وإنما علامات أيضاً؛ أي إنها لا توقظ الحواس فحسب بل هي تعمل على تكوين فكرة الشيء كذلك"(١).

"إن اللغة بالنسبة إلى البعض حين ترد إلى مبدئها الأساسي مجموع اصطلاحات أي لائحة من العبارات التي تطابق عدداً مماثلاً من الأشياء"، سواء أكانت الطبيعية صوتية أم نفسانية، أن الطرفين القائمين ضمن الإشارة اللغوية كلاهما نفساني، وأنهما متحدان في دماغنا بواسطة رابط التداعي فلنشدد على هذه النقطة بالذات(٢).

لأن الرابط الذي يربط الدال بالمدلول رابط كيفي والإشارة هي المجموع الناتج عن اقتران الدال بالمدلول وهذا يؤكد على أن الإشارة اللغوية كيفية ولا يعترض على ذلك أحد. وكل وسائل التعبير المعتبرة المقبولة هي عادات جماعية متواضع عليها، وهذا هو ما يجعل مصطلح الرمز بمعنى الدال غير مقبول؛ لأن الإشارة اللغوية كيفية.

"أن الإشارة اللغوية اعتباطية: واللغة تبدو على أنها نظام حر يمكن ترتيبه حسب إرادة المرء؛ لأنه يعتمد كلياً على مبدأ منطقي. وإذا أخذنا بنظر

---

(١) مدخل في اللسانيات، ٤٧.

(٢) الألسنة علم اللغة الحديث، قراءات تمهيدية (الإشارة اللغوية عند دو سوسير) ٢٣٧، وينظر: علم الدلالة، تأليف: جون لاينز، ترجمة: مجيد الماشطه، ٣٥.

الاعتبار الطبيعة الاجتماعية للغة بصورة مستقلة فأن ذلك لا ينفي وجهة النظر آنفة الذكر. ومما لا شك فيه تعتمد سايكولوجية الجماعة، فقط، على أساس منطقي في عملها. إذن ينبغي للمرء أن يأخذ بنظر الاعتبار كل شيء يجعل المنطق يحيد عن الطريق في أثناء الاتصال الحقيقي بين الأفراد". والعنصر الفعال في اللغة هو الزمن وليس فقط عرف الجماعة، فالأمران الزمن والاستخدام الاجتماعي للغة هما من يؤثر في تطور دلالة الإشارة اللغوية.

فاللغة لم تعد حرة، لأن الزمن يسمح للقوى الاجتماعية العاملة في اللغة أن تعمل عملها، وهذا يعود بنا إلى مبدأ الاستمرارية، الذي يلغي الحرية، ولكن الاستمرارية تنطوي بالضرورة على التغيير -على درجات مختلفة من التغيير في العلاقة بين المدلول والدال"[1].

ومن هذا الجدل يتبين لنا ضرورة وترابط الجانب الذهني وذلك من خلال العلاقة الذهنية الفكرية في تحقيق تطابق دلالة الدال على مدلوله من خلال الرمز اللغوي المنطوق وعنصر الوجود الذهني المتصورة عند المدرسة التصورية وغيرها من المناهج، وعنصر الوجود الخارجي في الواقع (وهي الصورة المرئية) أو المسموعة أو المدركة بأي حاسة من الحواس حتى المدركات العقلية الذهنية في وجودها الخارجي كالمعنويات. نعم كل ذلك يثبت حقيقة صعوبة بل استحالة نزع الجانب الذهني في إشارة وعلاقة الرمز اللغوي بمدلوله على أي منهج لغوي يتعامل بالرمز اللغوي، سواء اعتمده

(١) علم اللغة العام، دوسوسير، ٩٦، ٩٧ بتصرف، وينظر: علم الدلالة، لجون لاينز، ٣٥-٤٠.

في صلب المنهج أم المح إليه عرضاً.

(٤) الجانب الذهني في تطور المفردات ودلالاتها الجديدة، ومباينتها لدلالاتها القديمة.

حيث هناك جانب ذهني فكري في قضية التطور اللغوي عموماً وقضية التطور في دلالة المفردات خصوصاً. وقضية التطور الدلالي بحثت منذ أمد بعيد ومتجدد حديث، وفي هذه الجزئية نقصد تلمس ذلك الرابط الذهني الفكري في تطور دلالتها عموماً، ثم استقرارها على تلك الدلالات المستجدة، وكذا تسبب هذا الرابط الفكري ذو الجوانب النفسية والذهنية أيضاً في مباينتها لدلالاتها القديمة.

وهذا الجانب الذهني في تطور دلالة المفردات والعلاقة بين الرمز ودلالته الجديدة رابط ذهني، فبينما تجد "اللغة" تصدق على لغات مختلفة غير متجانسة نجد "اللغة المعينة" على العكس من ذلك منسجمة في تجانسها؛ فهي نظام من العلامات التي ترتبط بمعانيها ارتباطاً اعتباطياً وتعبر هي ومعانيها على التساوي عن مدركات نفسية، والتطور الدلالي هو تجديد في علاقة الدال بالمدلول، فإذا نظرنا إلى المعنى باعتباره علاقة بين الصيغة والفكرة حق لنا أن نقول: أن تغيير الدلالة من عصر إلى عصر ليس إلاّ ربط الفكرة بصيغة جديدة، أو ربط الصيغة بفكرة جديدة"[1]، هذه هي الخلاصة والرابط بين الصيغة (اللغة) والفكرة (الذهني) فربط الفكرة بصيغة جديدة بداعٍ فكري، أو ربط الصيغة بفكرة جديدة بداعٍ فكري أيضاً. ولقد كان العلماء يعتبرون هذا

(١) مناهج البحث في اللغة، ٢٤١، وينظر: علم الدلالة والمعجم العربي، ١٩، ٦٣، ٧٣، ٨٥، والتفكير اللساني في الحضارة العربية، ٤٦، ٢١٨-٢٢٨.

التغيير إمَّا نمواً أو انحلالاً.

والتغيير الدلالي عند "هرمان بول" يلحق اللغة عن طريق الكلام ويقول "شتْرن" إن معظم تغيرات المعنى تنتج عن رغبة المتكلم في أن يوفق بين الكلام وبين وظيفته التي يستخدم من أجلها"، وهناك أسباب أخرى كثيرة ترد في تفسير التَّغير الدلالي، ومنها عوامل عاطفية وفكرية وذهنية.

"أما أوجدن وريتشارد فإنهما لا يتكلمان عن المعنى إلاَّ بتشقيقه إلى عناصر أربعة هي:

(١) القصد (٢) والقيمة (٣) والمدلول عليه (٤) والعاطفة.

فما يمكن أن يسمى حاصل جمع معنى الكلمة، أي المعنى الكلي لها، إنما هو وظيفة مركبة من القصد ونعمة الإحساس والفكرة". والمعنى الاجتماعي هو الغرض الأسمى الذي يسعى إليه علم الدلالة وتحليل المعنى يتطلب أن نُدخل في اعتبارنا عناصر أربعة تلك هي:

(١) المتكلم (٢) السامع (٣) الرمز (٤) المقصود.

وتناول المتكلم والسامع بالتحليل، ويجعل الكلام بديلاً من استجابة لغوية لمثير معين، إنَّ الحديث في علاقة الرمز والمقصود كلام في أمور عقلية نفسية خالصة[١].

حيث الرمز (Signifiant) والمقصود (Signifie)، أمران عقليان وارتباطهما أمر عقلي أيضاً. وهذا ليس فقط في تطور دلالة المفردات والدوافع الفكرية والذهنية للعملية برمَّتها، أو لاختيار الدلالات الجديدة، أو

(١) مناهج البحث في اللغة، ٢٤٢، ٢٤٣ بتصرف، وينظر: دروس في السيميائيات، ١١-١٧.

ترك الدلالات القديمة، بل إن هذا الارتباط في عموم تعلق الدال بالمدلول، ولذا نعود ونذكر بالقضية الأولى في هذا المبحث وأن المدرسة السلوكية والتصورية والمنهج الوصفي كل ذلك تكامل في الحقيقة وتفاوت في المنهج، وليس تضاداً.

فلا تعارض (بل تكامل) بين بلومفيلد ودوسوسير في العلاقة بين الرمز والمدلول، ولكن في المنهج بينهما تفاوت واضح.

فالعلاقة ذهنية بين الحقائق والأحداث من ناحية، وبين الرموز أو الكلمات من ناحية أخرى[1].

(٥) التوقع والتهيؤ لاستقبال الرمز اللغوي، والجانب الفكري والذهني في الرابط في ذلك التَّوقع والتَّهيوء.

والجانب الفكري في هذه القضية يتجلى أيضاً في التهيؤ والاستعداد، والتحضير والتحضر لاستقبال المتلقي الدَّال والرمز اللغوي الذي يحمله، وشحذ الحدس الاستبطاني وكأنه اتفاق ضمني بين طرفي الرسالة، واستثمار الدال والمدلول، واعتبار المتكلم للمتلقي شريك في الرسالة وإعدادها، ومراعاة استجابته المتوقعة عند إعداد الرسالة من قبل المتكلم. وكيفية توظيف ذلك في سرعة وكفاءة التحصيل الفكري والانقداح الذهني لما يثيره الدَّال من مدلول في ذهن المتلقي. إنَّ التهيؤ تفكير واستعداد للتفكير، وأعمال للفكر في كيفية استقبال الرمز اللغوي من قبل السامع. ثم هو تهيئه من

---

(١) ينظر: مناهج البحث في اللغة، ٢٥٣، وينظر: التفكير اللساني في الحضارة العربية، ١٣٣، ١٤٣، ١٥٠-١٥٥.

المتكلم للمتلقي بأن وضع له بذور الدلالة التي ينتظرها وتحليلها في الرسالة، وقد قام الباحثون باستقصاء ذلك وبحثه على المستوى اللغوي. في علم اللغة، والأسلوب والبلاغة والدراسات اللسانية النقدية[1]، ولعل مدرسة التهيؤ في تفليس -جورجيا- مسايرة لهذا الموقف في مسألة اللغة قد أجرت "خوجافا" دراسة توضح توجه مدرسة جورجيا في علم النفس. فالتهيؤ هو الذي يحتم تفسيرنا للكون الذي نعيش فيه، وضمن ذلك يأتي تفسيرنا للتنبيهات اللغوية التي تصلنا عبر الرموز اللغوية، وترى هذه المدرسة الفكرية أن التهيؤ عملية مركزية في الدِّماغ تؤثر في الأفعال النفسية الفردية كالملاحظة والتشبيه، والذاكرة والانتباه، والتفكير والشعور، والإرادة. وهي عمليات تتضمن انعكاس الحقيقة الموضوعية... وتستهدف توازن العلاقة بين الكائن العضوي والبيئة[2].

وهو هنا يشير إلى قضية المتلقى ودوره الهام في عدة جوانب ذات طبيعة فكرية؛ منها أن المتلقي يُؤثر في المتكلم، وتحضير الكلام بحيث يُراعي معد الرسالة اللغوية ذلك، ويهتم له، ويتوقعه. كما أن المتلقي يتوقع من المتكلم بالرمز اللغوي مراعاته، وأخذه في الاعتبار، وملاحظة توقعه وتهيئه[3].

---

(١) ينظر: اللغة والتفسير والتواصل، ١٥٧، ٢٠٩، ومناهج البحث في اللغة، ٢٥٣، واللغة وسلوك الإنسان، ٤١-٤٥، والتفكير اللساني في الحضارة العربية، ٣٢٣، ٣٣٣.

(٢) ينظر: اللغة والفكر، بول شوشار، ١٨٤، ١٨٥، وعلم اللغة والدراسات الأدبية، دراسة الأسلوب، البلاغة، علم اللغة النَّصي، ١٢٩، ١٦٩.

(٣) ينظر: علم اللغة والدراسات الأدبية، دراسة الأسلوب، البلاغة، علم اللغة النَّصي، ٣٩، ٥٥، ١٤٥.

ويمكن إجراء تجربة لقوة تأثير الفكر باللغة، والتأثير اللغوي، وتوقع ردة فعل السامع عندما نضع له ما يؤثر عليه لغوياً ونفسياً، وانظر إلى العبارتين التاليتين:

- كم سرعة السيارة التي ضربت...
- كم سرعة السيارة التي هشمت...

تجد أن تحديد السامع سرعة السيارة في العبارة الثانية أكثر بكثير بفضل الوقع النفسي (هشمت) التي حصلت محل (ضربت) في العبارة الأولى[1]، وتهيئة لذلك عبر الدال اللغوي.

- وهناك من علماء النفس من يرى السلوك اللغوي لا يختلف عن أي سلوك بشري آخر. وهناك من يرى فرقاً "كسكنر" في كتابه "السلوك اللَّفظي". ولكن علماء النفس الآخرون يرون استحالة تفسير سلوك البشر اللغوي بدون أن تأخذ في الاعتبار معرفة الإنسان بالمعاني والقواعد اللازمة للتعبير عنها لغوياً. والسلوك اللغوي هو =الدليل العملي التجريبي= وهو البيانات اللغوية (Linguistic data). ولكن كيف يمكن معرفة هذه الجمل قبل أن ينطق بها الإنسان؟ يرى تشومسكي أن ذلك يمكن عن طريق الاعتماد على حدس الناطق الأصلي للغة بالمكونات التي تتألف منها كل جملة من هذه الجمل[2].

وهذه الأمور التوقعية الذهنية في الرمز الذي سينطق به المتكلم وكيف سيربط بينه وبين دلالته، وكيف سيتوقع ذهنية المتلقي في تلقيه، وتلقي دلالته أمور معتبرة كأساس عند علماء النفس وهنا يدخل الشك، والتوقع،

---

(١) اللغة والفكر، بول شوشار، ١٩٥.

(٢) ينظر: التفكير واللغة جودت جرين ١٢٧-١٢٨.

والحدس الاستبطاني، وتحفيز الذهن وشحذه لتلقي الدلالة، وإثارة اهتمام الطرفين بعملية الاتصال برمتها، مما يعطي استعداداً للتلقي الكامل[1].

"وكما يحدث عند ذكر" الملكة الفطرية اللغوية نجد أن ذكر الحدس الاستبطاني" ليبعث رعشة من الرعب في جسد أي عالم نفس تجريبي يحترم نفسه"، كما لا توجد علاقة بين معلومات الرسالة اللغوية (information) ومحتواها (content) فإذا تمكن الإنسان من التنبؤ بكامل محصول الرسالة عند ذلك ينعدم وجود الشك فيها وهكذا لا تقوم بإيصال أي معلومات إلى مستقبليها، ولكن إذا احتوت الرسالة على بعض الشك، أو أنَّ الإنسان لم يستطع التنبؤ بها فإنها في تلك الحالة تستطيع توصيل بعض المعلومات إلى مستقبلها[2].

فمن الحدس الاستبطاني التنبؤ بالعلاقة بين معلومات ومكونات الرسالة ومحتواها، وأهمية وجود نسبة من الشك في الرسالة يقوم التوقع والتهيؤ بتقديرها في علاقة طردية بين مستوى الشك وقيمته وتقديره، والتوقعات حوله، والتهيؤ له مما يجعل الرسالة اللغوية ذات مغزى وأهمية في إطارها العام ويجعلها تصل بدلالة أقوى وأثبت في الفكر والذهن والتصوُّر مما لو كانت رسالة عادية متوقعه لا تستدعى توقعاً ولا تحفزاً.

ولعل هذا المعنى قد تناوله علماء البلاغة، والأسلوب، والنقد في حصول المعنى بعد تعب وعناء، ومشقة وتطلُّب وبحث ومدى تأثير ذلك في النفس وتفريقهم تبعاً لذلك لقوالب اللغة التي تحمل المعنى من حقيقة ومجاز، وصور

---

(١) ينظر: التفكير اللساني في الحضارة العربية، ١٥٢، ١٥٣، ١٦٩، ٢٢٦-٢٣٣.
(٢) التفكير واللغة جودت جرين ١٢٨، ١٤١.

بيانية وخلافها وهي نوازع نفسية وفكرية يلجأ إليها المتكلم بقصد إيصال أكبر قدر ممكن من الإدراك الفكري والذهني، والتصوري في ذهن المتلقي.

ويتبع هذا الكفاية اللغوية الواردة في نظرية تشومكي اللغوية[1] كنموذج للأداء اللغوي والتي سوف تثير موضوع الكفاية والأداء بشدة؛ لأنها ذات طابع خاص؛ لأن نظرية مثل نظرية تشومسكي تقدم تحليلاً لغوياً مستقلاً لما نعنيه بقولنا إن الإنسان قادر على تحديث اللغة. وعلى الرغم من أن تشومسكي يزعم أحياناً أن النحو التحويلي يقدم فقط أفضل تحليل نظامي (formal) ممكن للغة، وأنه لا يمكن أن يتوقع من ذلك النحو وصف السلوك اللغوي الفعلي، نجده في مناسبة أخرى يَدّعي بشدة أكثر أن متحدث اللغة قد استدمج داخل ذهنه نظاماً للقواعد التي تربط الصوت بالمعنى بطريقة معينة، والتي أيضاً تشكل أساس الاستخدام الحقيقي لدى المتحدث والسامع (Chomsky, ١٩٦٥)[2]. والعبارة الأخيرة نفيسة في قضية التوقع والتهيؤ لاحظ مفردة (استدمج) وما تعنيه من البرمجة الذهنية الفكرية التي أصبحت ثابتة للقواعد التي يحددها ارتباط الصوت بالمعنى ذهنياً لدى المتكلم، وأيضاً تشكل أساس لاستخدام اللغة وطرائقه لدى المتلقي. وقريب من هذا ما يقرر ابن خلدون عن الملكة الصناعية والملكة الطبيعية. وقبله ما قرره ابن جني وابن خلدون عن الطبيعة والسليقة والفطرة اللغوية[3].

---

(١) ينظر: نظرية تشومسكي اللغوية، جون لاينز، ٢٣٣، وقضايا ألسنية تطبيقية، ٦١، ٧١.

(٢) التفكير واللغة جودت جرين ١٧٢، وينظر: قضايا ألسنية تطبيقية، ٥٧، ٦٨.

(٣) ينظر: الخصائص ١٢/٢، ٢١، و١٨٦/١، ٢٣٧، ٢٧٩، والمقدمة لابن خلدون، ١٠٨١.

ومن المؤكد أن ادعاء تشومسكي هذا هو الأساس الذي بنيت عليه جميع تجارب علم النفس اللغوي، التي أُجْرِيت لاختبار صلاحية النحو التحويلي كنموذج لاستخدام الإنسان للغة. لكن تشومسكي بلا شك قد تسبب في شيء من الإزعاج لعلماء النفس، فبينما أنه نفسه يدعى إدعاءات نفسية من هذا النوع نجد أنه عندما تواجهه أدلة نفسية متناقضة يميل إلى التراجع إلى تعريفه الأول المحايد للكفاية اللغوية، قائلاً إن تحليله اللغوي للجمل لم يتطرق إلى الكيفية الحقيقة التي يتبعها المتكلم والسامع في صنع الجمل وفهمها. وفي هذا إقرار واستثمار لتجارب علم النفس اللغوي حتى من قبل تشومسكي مما يدل على تجذر وتفاعل هذا في نسيج اللغة، ومنه تلاقي الطرفين في الاتصال اللغوي على خلفية وأرضية مشتركة تشكل قواسم بينهما. وكما قال تشومسكي (Chomsky, ١٩٦٨): "إن معرفة الإنسان – نظام القواعد المستدمج داخل ذهن الإنسان– هي فقط عامل واحد من عوامل كثيرة تقرر كيف تستخدم أو تفهم عبارة ما في موقف معين[١]. وتقنن الدكتورة جودت جرين هذا الاستدماج بين الطرفين في الإرسالية اللغوية عبر دلالة الرمز اللغوي. "بأن جميع ما ورد هنا يؤكد على أهمية وجوب اشتراك السامع والمتحدث في امتلاك نفس المعرفة، أو الخلفية اللغوية وغير اللغوية في الرمز الدال، لكي يكون الاتصال والتفاهم بينهما ممكناً، فإذا ما أراد المتحدث توصيل معلومات إلى السامع، حتى وإن كان يريد خداعه، يجب عليه أن يأخذ في اعتباره تأثير كلماته وجمله على ذلك السامع، وهذا لا يعني

(١) التفكير واللغة جودت جرين ١٧٢ بتصرف، وينظر: علم اللغة والدراسات الأدبية، دراسة الأسلوب، البلاغة، علم اللغة النَّصي، ٣٣، ٥١، ٥٨، ٩١.

إطلاقاً أن السامع أو المتحدث قد تَعلَّم شرطياً أن يعطي استجابته اللغوية بشكل مستقل ولكن المقصود هو أن عمليتي إنتاج الكلام وفهمه هما نسختان طبق الأصل من بعضهما، وأن الاتصال اللغوي يعتمد على معرفة السامع والمتحدث بنفس اللغة من الناحية اللغوية، وبشكل أعم من الناحية الاجتماعية، ولكن كما ذكرنا سابقاً بأنه لم يُعْرَف سوى اليسير جداً عن العمليات التي يجريها الإنسان عندما ينتج الكلام، أو يختار الألفاظ المناسبة للتعبير عن أفكاره"[1].

والحقيقة أن هذا كلام مستقيم. غير أن القصد والتنبه إلى فعله إرادة من قبل مستخدمي اللغة غير مستقيم بصفه عامة؛ إذ الغالب أن ذلك مما يتشرّبه الوجدان الباطن بحكم الإلْف والقُرب والمعايشة، وزيادة الاهتمام بالطرف الآخر الناتج عن زيادة في العاطفة السالبة أو الموجبة تجاهه. وهذا ما نبهت عليه جودت جرين نفسها في موطن آخر من كتابها التفكير واللغة، غير أنها هنا تصفه بالتخطيط الاستراتيجي؟!.

إنه قيام تخطيط استراتيجي منظم يستهدف به المتكلم السامع حتى يصل إلى غرضه من عملية التكلم وليس بقصد إيصال دلالة الكلام نفسه. وهذا ملحظ دقيق تَحسُن مراعاته والتفكر فيه. كما يحسن التفطن إلى أنه يحصل بصورة العقل الباطن غالباً، ولا يمنع أن يقصده المتكلم أحياناً، أو يقصد التأثير به على المتلقي. ولهذا نجد تطبيقات ونماذج خصوصاً في اتصال النخبة، أو الإنتاج الأدبي الذي لا يخلد فيه الأديب والكاتب إلى العفوية

(١) التفكير واللغة جودت جرين ٢٠٤، وينظر: التفكير اللساني في الحضارة العربية، ٣٢٨-٣٣٥، ودروس في السيميائيات، ٧-١٠.

والفطرية بل يُحكِّم العقل مراراً فيما يقوله أو سيقوله[1] ولعل الشعر الحولي المحكك يصيب في هذا الاتجاه، ومدرسة عبيد الشعر معروفة في الأدب الجاهلي.

وفي الجانب الأسلوبي والأدبي يتحدث خوسيه ماريا عن الخصوصيات النفسية للاتصال الأدبي، والاتصال الخاص، ولغة النُّخبة المثقفة، والتعبير عن المشاعر. والأوضاع التي ولد النَّص اللغوي فيها ونظرية النَّص، وظلال الدلالة والإيحاء والكفاءة الأدبية، والقارئ النموذج، والقراء المرسل إليهم المستقبلون، وأن المتلقى شريك في إنشاء الرسالة بما يراعيه المتكلم من ظروفه والتوقع والتهيؤ لطرفي الاتصال فيما بينهما[2].

إنه يصور مسبقاً ردود الفعل الرئيسية للمستقبل تجاه النَّص... فحين نبدأ في قراءة كتاب أشعار... نعرف قبل أن نفتح الصفحة الأولى كما كبيراً من الأشياء حول هذا النَّص فنتبنى إزاءه استراتيجية قراءة ونرى مسبقاً في المرسل بعض ظروف الإبداع، ونحتفظ بحاله توقع لا توجد عندنا عندما يتعلق الأمر برواية أو تصفح جريدة[3]. وكل هذا يقوم على نظرية التهيؤ والاستعداد من قبل طرفي الرسالة. وهي أرضية يمكن أن تفسر سرعة التواصل ووصول الدلالة خصوصاً بين المتعاشرين والمتآلفين الذين أَلِفوا أساليب التخاطب بينهم.

إنَّ المتلقي شريك لمنشئ الرسالة فهو ينشؤها حسب توقع المتلقي

---

(١) ينظر: علم اللغة والدراسات الأدبية، ١٠٣، ١٠٦-١٠٨.
(٢) ينظر: نظرية اللغة الأدبية، ٦٤، ٧٠، ٨٩، ٩٢، ١١٦.
(٣) ينظر: نظرية اللغة الأدبية، ٩٢.

والسامع، فالقارئ شريك في صنع الرسالة اللغوية وعندما تصله يكون قد فهمها بناءً على ذلك، إذاً المستقبل يؤثر في المتكلم ويراعيه عندما يتواصل معه لغوياً، بل هو من يصنع الرسالة وهذه نظرية لغوية تفاعلية أدبية نقدية عليها بعض الدراسات الحديثة. والتحليل اللغوي يبدأ من مرحلة إنشاء الكلام في المرحلة الأولى من الدائرة اللغوية وليس من المرحلة الخامسة فقط، عندما يصافح الصوت إذن المتلقي، وهذا أمر دقيق يحتاج إلى تجلية ومزيد إيضاح... (١).

والسامع والمتلقي يتأثر بشكل الكلمة الكتابي في الرمز المكتوب كما يتأثر بصورتها السمعية، ويوجه قسطاً كبيراً من انتباهه في أثناء السماع إلى مدلول الكلمات والعبارات دون الأصوات، ولكن مع ملاحظتها.

والسامع والمتلقي قد تدرك أذنه إدراكاً خاطئاً (الفهم الخاطئ /سوء الفهم)(٢). ومن هنا تأتي أهمية الكتابة السمعية، وقد وجه سبحانه وتعالى عباده في قوله: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ...﴾(٣)، وهذا أمر وتوجيه بأن يتقصد الإنسان حسن الدلالة وإيقاع اللفظ الملائم الخالي من الاحتمالات المضلِّلة والمؤدية إلى سوء الفهم، وهذا أمر لطيف غريب في اللغة أنه كما تقع بها الإبانة والإيضاح يقع بها التضليل والتعمية والإلباس قصداً وبغير قصد أيضاً، ولهذا بعض علماء اللغة قديماً

---

(١) ينظر: علم اللغة والدراسات الأدبية، دراسة الأسلوب، البلاغة، علم اللغة النَّصي، ٤٢، ٥٥، ٩١، ٩٦، ١٠٨، والتفكير اللساني في الحضارة العربية، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٤، ٣٢٨.

(٢) ينظر: علم اللغة، علي عبد الواحد وافي، ٣٩-٤١، ودلالة الألفاظ، ٨-١١.

(٣) سورة الإسراء: ٥٣.

وحديثاً أدرك هذه المعضلة واقترح آلية رياضية منضبطة الاتصال من باب التفكه نظراً لشديد إدراكه لما تقوم به اللغة ويقع بها من تضليل وإيهام[1]. وعلماء النفس يواجهون صعوبة أشد في معالجة الفروق الفردية نظراً لأنهم يدَّعون بأنه لا يمكن فهم سلوك الإنسان إلاَّ إذا عرف مسبقاً ماذا يحاول الإنسان أن يفعله.

ومن ما يتصل بالتوقع والتهيؤ السالف ذكره هو أنه شديد الاتصال بالملكة اللغوية والسليقة وهي لا تخلو من جانب فكري ذهني أيضاً وهي القضية السادسة التي نختم بها جملة القضايا التي سقتها كنماذج على الجانب الذهني والفكري في الروابط بين الدال والمدلول.

(٦) الجانب الذهني والفكري والنفسي في الملكة اللغوية:

نجد هذا الجانب الفكري والنفسي في الملكة والكفاية اللغوية مبحوثاً عند اللغويين تحت هذه العناوين والمصطلحات:

"أهداف اللسانيات النفسية". "المقاربة النفسية للظاهرة اللغوية". "الملكة اللغوية والتجربة". "المعرفة اللغوية والمعرفة النحوية". "والوصف والتفسير"[2].

فما علاقتها بالجانب الذهني الفكري في الدال والمدلول؟ لعل ذلك يظهر من خلال تعريفها ومفهومها، وتسمياتها، وبحث تشومسكي لها، ولعل النشأة

---

(١) التفكير اللساني في الحضارة العربية، ٢٨٧-٢٩١، والتفكير واللغة، ٥٠، والمدخل إلى علم اللغة، تأليف: كارل ديتر بونتنج، ٤٦، ٦٥-٦٨، ٧١.

(٢) اللسانيات واللغة العربية لعبد القادر الفهري ٤٢-٤٤ بتصرف، وينظر: اللغة والتفسير والتواصل، ٢٥، ٤١، والمعرفة اللغوية طبيعتها وأصولها واستخدامها، ٣٠، ٧٣-٨٠.

الأولى والاكتساب الأوّلي للملكة الأساسية للغة الأم يجعل للقدرة على تفسير الدال والمدلول حيز معين في الدماغ.

ثم ناحية أخرى وهي عرضية العلاقة بين الدال والمدلول، وأنَّ مردها المجتمع والفرد حيث يكتسب لغته من المجتمع (الأصغر) الأسرة ثم (الأكبر) الناس والمحيط الاجتماعي، ومن هنا نجد التأسيس الذهني الفكري الأولى للسليقة والاكتساب اللغوي الذهني.

"فكل المخلوقات البشرية تشترك في بنية معرفية محدَّدة نسميها بالملكة اللغوية وهذه الملكة ما هي إلاَّ نسق كلي للتمثل الذهني للغة". فعند تشومسكي البنية المعرفية للغة لها علاقة بالملكة؛ فالمتعلم مزوَّد بجهاز اكتساب اللُّغة ولها حيز معين في الدماغ، والنحو هو النواة لما تنميه الملكة اللغوية، فالنحو موجود في دماغ المتكلم واللغة ليست كذلك بل تبدو وكأنها ظاهرة عارضة يمكن تصورها كما نُريد[1].

ويعطى تشومكي مدلولاً خاصاً لمفهوم الواقعية النفسية، فالنحو عنده ذو واقع نفسي إذا كان يقدم التفسير اللاحق للظواهر الملاحظة، وهو نموذج معقول للاستعمال اللغوي يجب أن يشمل كمكون أساسي النحو التوليدي الذي يصور معرفة المتكلم – المستمع للغة، والقُدرة المعرفية اللغوية المخزونة هي تحليل تفسيري للعمليات الذهنية التي تقف وراء السلوك الكلامي".

إذا هو الحيز الخاص بتلقي اللُّغة وهو حيز يُملأ باللغة الأم التي يكتسبها المتلقى في طفولته في بيئته الصغيرة ثم الكبيرة، وما عداها من اللغات

---

(١) ينظر: اللسانيات واللغة العربية لعبد القادر الفهري ٤٢، ٤٦، والملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون، ٢٣، ٢٤-٣٠، ٦٣.

يتعلمه صناعة ودربة. وهذا الاكتساب الأولي يتشكل ذهنياً باستعداد فطري خاص بكل متكلم باللغة. ويختلف بين فرد وفرد بحسب جودة استغلال ذلك الحيز وتلك الملكة.

ويشمل هذا القولبة والتمثيل فمن المعلوم أن كل نظريات التمثيل الذهني (Representational theories) تؤكد أن معرفة المتكلم للُّغة ممثلة ذهنياً في شكل بُنَى من نوع خاص، كما أثبتت ذلك عدة دراسات لسانية ونفسية أيضاً. ولا يمكن تصويرها في أية نظرية تعتمد فقط أحكام المتكلم – المستمع على لغته وحدسه إزاء جملها، إنّ هذه البناءات النظرية بإمكانها أن توحد نتائج البحث اللساني والنفسي[1].

ثم تأتي ملكه لاحقه بعد مرحلة الاكتساب الأولي؛ وهي تنمية الملكات التي تتضح بعد سن معين؛ وهي ذات طابع فكري عقلي تصوري أوضح وأميز تبعاً لنضج القدرات الفكرية مع تقدم الملاحظة والتَّعلم وبهذا تفسر تعالق البني اللغوية والفكرية، والمستقيم المطرد، والمعيار والشاذ، وتعدد الدلالات والتميز بين المترادفات.

"فالنماذج النفسية للاستعمال اللغوي والواقعية النفسية والبنية التصورية، وتعالق البنية الدلالية والبنية التصورية كل ذلك يفسر قدرة المتكلم المستمع على إسقاط معاني الجمل، والمفردات التي تعلمها على العدد اللامحدود من جمل اللغة، والاقتضاء والترادف ... وتعدد المعاني... والشذوذ الدلالي... يجب أن تكون ذات وقع نفسي فالطاقة التعبيرية (للمتكلم المستمع) توظف في قطاعات معرفية متعددة حسب المعجم الذهني والذخيرة

(١) اللسانيات واللغة العربية لعبد القادر الفهري ٤٨، ٤٩.

اللغوية لطرفي التواصل، "فالمعجم الذهني". الأوضاع والنظرية العلائقية للمعنى. الواقعية النفسية وأشكال التمثيل. والقولية[1] والتمثيل كلها عناوين يعالج اللغويين تحتها الجانب النفسي الفكري التصوري في الكلية اللغوية للمدلول.

وهنا نختم بسؤال حول لماذا نبحث عن الجانب الفكري في الدال والمدلول؟ بل لماذا أوجد الدال والألفاظ واللُّغة، ما الهدف منها؟

وهل اللغة للتواصل فقط؟، هل وظيفة اللغة الأساسية هي التواصل، هل تؤدي اللغة إلى التواصل أم إلى الإبهام؟ هل يمكن التواصل بدون لغة أسئلة عديدة.

أمَّا زعمُ الوظيفيين أن اللغة "قبل كل شيء" أداة للتواصل لا يستند إلى مبرر واعتبار اللغة أداة للتواصل لا يوحي به إلا الحس المشترك السطحي، ومن يتأمل اللغة يجد أنها لا تساهم في التواصل أكثر من مساهمتها في عدم التواصل، والتفاهم باللغة حالة خاصة لعدم التفاهم بها، والتفاهم قد يحصل بأشياء أخرى كثيرة غير اللغة كالإشارات، والرقص، والسيمياء. إذاً اللغة ظاهرة غير متجانسة، ظاهرة عارضة، والمعرفة اللغوية تدخل فيها أشياء أخرى كثيرة. قد نعتبر أن الدراسة اللغوية جزء من علم النفس، وهذا التَّصور مرده إلى أن اللغويين يعتقدون أن الهدف الأول للنظرية اللسانية هو تمثيل ما يعرفه المتكلم المستمع عن لغته، وتحديد الطريقة التي يكتسب بها

(١) اللسانيات واللغة العربية لعبد القادر الفهري، ٣٦٣ بتصرف، وينظر: ٣٦٨، ٣٨٣، وينظر: اللغة تدريساً واكتساباً، ٢٧، ٨٠، ٨٣.

هذه اللغة. وللغة علاقة بالمعلومات والحضارة والثقافة[1]. فالفكر يصنع اللغة في نفس الوقت الذي يُصنع فيه من طرف اللُّغة.

وتطور اللغة مع تطور الفكر، وتطور الفكر مع تطور اللغة؛ لأن اللغة مرتبطة بالفرد في ذاته، ومرتبطة به داخل مجتمعه ومرتبطة أيضاً بالمجتمع ككل.

فالفكر له قيمته الحضارية والثقافية داخل نسيج اللغة[2].

وفي الوقت نفسه فإن اللغة تحجر الفكر وتقيده؛ لأنها تحدد له المسالك التي ينبغي أن يسلكها ولا تتركه حُراً طليقاً.

كما أنها تُضلل دلالياً وربما استخدم الدال ليؤدي إلى مدلول معاكس للحقيقة فكما تؤدي العلاقة بين الدال والمدلول إلى الإيضاح والبيان قد يستخدمها المتكلم ليخفى العلاقة الحقيقة القائمة في نفسه بأخرى لغوية زائفة. وهنا يأتي دور الفكر والذهن، والحدس والملكة والسليقة، وامتلاك ناصية اللغة ليصل السامع بالملكة إلى التحديد الفكري القائم والمستتر وراء اللغة.

وهذه جملة من الأمور النفسية تعرض لها الدكتور رمضان عبد التواب تؤدي إلى الإدراك الفكري، وتساعد بنية اللغة وصورتها اللفظية وهي أمور عاطفية تأخذ عدة أنماط وأشكال يمكن إلحاقها بالملكة، وأثرها الفكري

---

(١) اللسانيات واللغة العربية لعبد القادر الفهري، ٤١-٤٢، وينظر: التفكير اللساني في الحضارة العربية، ٣٣٣-٣٤٠، والمدخل إلى علم اللغة، تأليف: كارل دبتر بونتنج، ٤٦-٥٦.

(٢) ينظر: علم اللغة، محمد فهمي حجازي ١٧، ٢٤، ٣١، ٣٥. وينظر: العلاقة بين اللغة والفكر، ٢٤، ٣١، ٣٥.

والذهني في إدراك المدلولات اللغوية ورموزها وهي في نقاط موجزة[1]:

- التذكر، والاسترجاع، والتخيل، وتداعي المعاني، والإدراك، والانتباه والحالات الوجدانية المختلفة، حيث هي التي تفسر لنا تعلم اللغة وصياغة العبارات، وتكوين الجمل للتعبير عن الأفكار، وكيف توصل إلى السامع ويدرك القارئ ما يقرأ (المتلقي). وهذه أمور نفسية تؤدي إلى إدراك الظواهر اللغوية وإثبات دور للخبرات غير اللغوية في الإدراك الذهني لعلاقة الدال بالمدلول.

- حيث للخبرات السابقة دور كبير في فهم الكلام لدى السامع إن ما يحدث في الغالب في المحادثة التليفونية هو وصول ٥٠% من المحتوى الصوتي والباقي يصل تعويضاً عن طريق معرفة السامع بالمحتوى الدلالي، وعن طريق استنتاجه الشيء الطبيعي المؤسس على خبراته وعاداته السابقة والتي تدور حول التوقع والتهيؤ النفسي.

- لا نكتفي بالصورة التي تصاغ عليها الأفكار فحسب، بل كذلك العلاقات توجد بين هذه الأفكار وحساسية المتكلم.

فـ"اللغة لا تدرك على أنها أداة عقلية فحسب بل يشترك الإحساس والوجدان فيها.

- الإنسان كما يتكلم ليصوغ أفكاره، فإنه يتكلم ليؤثر في غيره من الناس، وليعبر عن إحساسه وشعوره، وعاطفته فهو يعبر باللغة عن نفسه كما يعبر عن آرائه، وأيضاً ليبني علاقات اجتماعية.

- التعبير عن أي فكرة لا يخلو مطلقاً من لون عاطفي، إلا اللغة العلمية،

---

(١) مدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ١٣٩-١٤٢. وينظر:

لا كما يقول فندريس والذي يرى حتى في العبارات العقلية المحضة قيم انفعالية "ولكن محاولة التَّخلص من إظهار العاطفة في هذه الحال، ليست إلاّ إظهاراً للعاطفة". يقول فندريس: "لا تكاد جملة... تخلو من العناصر الانفعالية"[1].

- المآسي في التاريخ مسلية إذا حُكيت والمآسى المعاشة مؤثرة عاطفية، ومرجع تأثيرها حسب المعايشة والقرب من الوجدان[2]. وبعد التاريخية من وجدان المجتمع مع اعتبار عنصر الزَّمن.

- يعبر عن العواطف بالتنغيم، أو تغير الصوت، أو سرعة الحدث، أو الشّدة التي يركزها المتكلم على هذه الكلمة أو تلك الإشارة. فالجملة الواحدة تحتمل مئات الوجوه التي تقابل أشد ألوانه العاطفة خفاءً، فالجملة التي يقرؤها القارئ في صحيفة تعد ميتة خالية من التعبير، ولكنه ينعشها بنطقه وينفث فيها الحياة[3].

والموضوع نقف به عند هذا النقطة من النماذج الستة السابقة، ويمكن التنقيب والبحث والدراسة عن المزيد من هذه النماذج.

---

(١) اللغة لفندريس ١٨٣.

(٢) مدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ١٤١.

(٣) مدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ١٤٢، وينظر: علم النفس اللغوي ٣٧-٣٨.

الخاتمة

بدأ البحث بمدخل عام يوضح ارتباط الاسم بالمسمى والدال بالمدلول، واللفظ بالمعنى وكنه اللغة، وكيفية استخدام الإنسان لها وسيلة للتعبير ونقل الأفكار عبر الرموز اللغوية، وقضية اللغة والكلام، وحيرة القدامى والمحدثين فيها، وفي أدوارها مما يعد مدخلاً ضرورياً للحديث عن أجزاء القضية بعده.

لقد تجلت في المبحث الأول: جهود القدماء وبراعتهم في هذا الجانب من فلاسفة، ولغويين، وأصوليين حيث ابن سينا، والجرجاني، والغزالي، والأصوليين تحديداً قد ضبطوا منهجاً دقيقاً وصحيحاً في التحليل اللغوي، وخاصة ربط المدلولات بدوالها برباط ذهني فكري بصورة قريبة من نتائج الدرس اللغوي الحديث.

وفي المبحث الثاني برزت القضية عند المحدثين من علماء اللغة والاتصال والفلاسفة ومنهج دراستهم لها، ومصطلحاتهم في تناولها ووظيفة الإشارة اللغوية، والتلازم بين الدال والمدلول. وطبيعة العلاقة الذهنية والفكرية واعتباطية الدليل من خلال الألفاظ أو الكلمات، وما الفرق؟ كما عَرَّجوا على التلازم الوشائجي بين الكلام والفكر، واللغة والفكر، وهل اللغة في الفكر والعقل والرأس أم في اللسان والصوت واللفظ؟ وتحديد الروابط بين الكلام المسموع وبين الفكرة الهائمة في أعماق النفس، وغموض تلك الروابط ومحدداتها. والعام والخاص، وملكية اللغة بين المتكلم وحقوق السامع في رمزية اللغة وتفسير دلالاتها.

كما برزت القضايا والنماذج في المبحث الثالث التي تناول تحليلّ وتعليلّ لتجاهل المدرسة السلوكية للجانب الذهني الفكري الاستدعائي في جانب الدال والمدلول، والمفارقة بين بلو مفيلد ودو سوسير، وتناول هذه القضية وتجليتها من خلال رصد أسس السلوكيين ومنهجهم ومناقشتها في هذه الجزئية. وبيان أنه لا يمكن بحال حتى للسلوكيين الذي اعتمدوا المثير والاستجابة أن يتجاوزوا الرابط الذهني الفكري في علاقة الدال بالمدلول، بل أن المثير نفسه واستجابته يحمل الاستبطان الفكري الذهني، وأن تقسيماتها نظرية وليست عملية، وأن الممارسة العملية للرمز اللغوي تستدعي الأمر الذهني قطعاً.

ثم التعريج على المدرسة التصورية المضادة في تصوراتها للمدرسة السلوكية والقضايا التي يمكن رصدها في جزئية الدال والمدلول عند التصوريين، ومنهجهم الدلالي، والتقاط الجانب الذهني في تطور المفردات ودلالاتها الجديدة. ثم عرج البحث على الجانب الذهني في التطور اللغوي والدلالي، وخصوصاً في المفردات وتجليه ذلك الجانب، وأنماطه، وأنحاءه، وربطه بالفكر والذهن مع الوجدان، وكذا قضية الإشارة والجانب الذهني التي قسمت بين السلوكية والتصورية.

وكذا قضية التوقع والتهيؤ والجانب الذهني والفكري فيه عند استخدام الرمز الدال في التواصل بين طرفي الإرسالية اللغوية، ومراعاة الطرفين لبعضهما وقيمة التوقع والتهيؤ والتعاون بين الطرفين، وكذا القيمة الدَّالة للشَّك في مدلول الرمز اللغوي، ونظرية الغموض وخفاء المعنى، وارتباطاتها الدلالية لدى البلاغيين، والأسلوبيين وعلاقة كل ذلك بقضية البحث. ثم ختم

المبحث بالجانب الفكري الذهني في الملكة اللغوية وبيان مدى ارتباطه بالعلاقة الذهنية بين الدال والمدلول، وهل اللغة للتواصل أم لأغراض أخرى، وما الأساس في أغراضها وما علاقة كل ذلك بالجانب الذهني في الدال والمدلول، وكيف أن اللغة ضمن الفكر ولكنها تحجره أيضاً وتقيده، وكيف أن الدال والمدلول يوضح وبين ولكنه أيضاً قد يضلل ويعمى الدلالة التي قامت في نفس مستخدم الرمز اللغوي.

إلى غير ذلك من الأفكار التي تضمنها مباحث هذا البحث مما أثرت أن لا أعيد الإشارة إليه حتى لا يفقد قيمته بالاختزال وبانتزاعه من سياقه، واكتفيت بالإشارة إلى بعض أفكار البحث مع أملي أن يعيد القارئ قراءتها تضاعيف البحث ليكون أوضح وأجلى.

والله المسؤول أن يوفقنا ويهدينا سواء السبيل.

فهرس المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: المصادر والمراجع:

- الإحكام في أصول الأحكام، للآمدي، مطبعة المعارف، القاهرة، ١٣٦٨هـ.
- الارتباط بين اللغة والفكر في المرحلتين الأولى والخامسة في موقف الاتصال اللغوي، عبدالعزيز الصاعدي، بحث تحت النشر، مركز بحوث ودراسات المدينة.
- الاستماع والإنصات ودورهما في إدراك اللغوي، د. عبدالعزيز الصاعدي، حولية، كلية اللغة العربية، بالأزهر، عدد ٢٥.
- الأصول، تمام حسان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٢م.
- الألسنية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية، د. ميشال زكريا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الحمرا، هاتف:٨٠٢٤٢٨.
- الألسنية علم اللغة الحديث، قراءات تمهيدية د. ميشال زكريا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع الحمراء، شارع إميل أده، بناية سلام بيروت لبنان ط ٢، ١٤٠٥هـ -١٩٨٥م.
- البحث الدلالي عند الأصوليين، د.محمد يوسف حبلص، ط١، ١٤١١هـ.
- تشومسكي فكرة اللغوي وآراء النقاد فيه، د. صبري إبراهيم السيد، دار المعرفة الجامعية، ٤٠ ش سوتير، إسكندرية، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.
- التصور اللغوي عند الأصوليين، د. السيد أحمد عبد الغفار، شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

- التفكير اللساني في الحضارة العربية، د. عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ١٩٨١م.
- التفكير واللغة. تأليف د. جودث جرين، ترجمة: د. عبد الرحمن العبدان، توزيع دار عالم الكتب، الرياض، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.
- تلخيص كتاب العبارة لابن رشد، تحقيق: محمود قاسم الهيئة المصرية العامة للكتاب، عام ١٩٨١م.
- التمهيد في أصول الفقه، تأليف الكلوذاني، دراسة وتحقيق: مفيد محمد أبو عمشه، دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع، جدة، ط١، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٥م.
- الجوانب الدلالية والفكرية في الدائرة اللغوية الكلامية، د. عبدالعزيز الصاعدي، حولية، كلية اللغة العربية بالزقازيق، عد ٢٩، عام ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.
- حوليات كلية الآداب بجامعة عبد شمس، المجلد ٨، القاهرة، مطبعة جامعة عين شمس، ١٩٦٣م.
- حولية كلية اللغة العربية بالزقازيق، عدد ٢٩، عام ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م، المشرف العام أ.د. صابر عبد الدايم يونس.
- الخصائص، صنعة أبي الفتح "عثمان بن جني بتحقيق محمد على النجار، الناشر: دار الكتاب العربي بيروت – لبنان، دار الكتاب المصرية، طبعة سنة ١٩١٣م.
- دراسات في علم اللغة الوصفي والتاريخي والمقارن، د. صلاح الدين صالح حسين، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، المملكة العربية

السعودية، ص.ب ١٠٥٠، ت: ٤٧٧٧١٢١، ط١، ١٤٠٥هـ.

- الدرس الدلالي في خصائص ابن جني. للدكتور أحمد سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية ٤٠، سوتير الإسكندرية، ط١، ١٩٨٩م.
- دروس في الألسنية العامة. فردينان دو سوسير، تعريب صالح القرمادي وآخرون، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٥م.
- دروس في السيميائيات. د. حنون مبارك، دار توبقال للنشر، عمارة معهد التيسير التطبيقي بلقدير، الدار البيضاء (٠٥) المغرب.
- دلائل الإعجاز، لعبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة.
- دلالة الألفاظ. تأليف د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثالثة ١٩٧٦م.
- دور الكلمة في اللغة، ستيف أولمان، ترجمة كمال بشر، القاهرة، دار غريب، ١٩٩٧م.
- رسائل إخوان الصفاء، خلان الوفا، بيروت، ١٩٥٧م، في أربعة أجزاء.
- الزينة لأبي حاتم الرازي، تحقيق: فيض الله الهمداني بالقاهرة، ١٩٥٧م.
- شرح القاضي عضد الملة والدين لمختصر المنتهى الأصولي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، عام ١٤٠٣هـ-١٩٨٤م.
- الشفاء، المنطق، ٣، العبارة لابن سينا، تحقيق محمود الخضيري، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، عام ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م.
- العبارة من الشفاء لابن سينا، الهيئة العامة المصرية للكتاب، ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م.

- العربية وعلم اللغة، البنيوي، د. حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، ١٩٩٥م.
- العلاقة بين اللغة والفكر، د. أحمد حماد، دار المعرفة الجامعية ٤٠، شارع سوتير الإسكندرية، ١٩٨٥م.
- علم التخاطب الإسلامي، دراسة لسانية لمناهج علماء الأصول في فهم النص، لمحمد محمد يونس علي، دار الدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٦م.
- علم الدلالة إطار جديد، إف آر بالمر، ترجمة: مجيد الماشطة، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، الجامعة المستنصرية، ١٩٨٥م.
- علم الدلالة العربي. النظرية والتطبيق. دراسة تاريخية تأصيلية نقدية للدكتور فايز الداية، دار الفكر للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، ص.ب ٩٦٢، ط١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- علم الدلالة جون لاينز، ترجمة: مجيد عبد الحليم الماشطة وآخرون، كلية الآداب، جامعة البصرة، ١٩٨٠م، طبعة جامع البصرة.
- علم الدلالة والمعجم العربي، د. عبد القادر أبو شريفه وآخرون، دار الفكر للنشر والتوزيع، شارع الهاشمي، عمان، الأردن، ط١، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.
- علم الدلالة، أحمد مختار عمر، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، شارع ابن خلدون، ت: ٥٦٤٦٢٦، الصفاة، الكويت، ط١، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
- علم اللغة الاجتماعي. تأليف: د. هدسون، ترجمة: الدكتور محمود عياد، الناشر: عالم الكتب ٣٨، عبد الخالق ثروت - القاهرة، ط٢، ١٩٩٠م.
- علم اللغة العام. تأليف دو سوسير، ترجمة الدكتور يوئيل يوسف عزيز

مراجعة د. مالك يوسف المطلبى.

- علم اللغة العربية. للدكتور محمود فهمي حجازي الناشر: وكالة المطبوعات ٢٧، شارع فهد سالم – الكويت.
- علم اللغة النفسي. للدكتور عبد المجيد سيد أحمد منصور، الناشر عمادة شؤون المكتبات جامعة الملك سعود، ص. ب ٢٤٥٤ الرياض، المملكة العربية السعودية.
- علم اللغة النفسي، د. عبد العزيز العصيلي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عمادة البحث العلمي، ط١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
- علم اللغة في القرن العشرين، تأليف جورج مونان، ترجمة د. نجيب غزاوي.
- علم اللغة مقدمة للقاريء العربي. تأليف الدكتور/ محمود السعران دار الفكر العربي ١١ شارع جواد حسني القاهرة (ص ب ١٣).
- علم اللغة والدراسات الأدبية، دراسة الأسلوب والبلاغة وعلم اللغة النَّصي، برند شبلنر، ترجمة محمود جاد الرب، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض، ط١، ١٩٩١م.
- علم اللغة، علي عبد الواحد وافي، دار نهضة – مصر للطبع والنشر، الفجالة – القاهرة، ط٧.
- فقه اللغة العربية، وخصائصها، د. إميل يعقوب، دار العلم للملايين، ص.ب ١٠٨٥، بيروت، تلكس: ٢٣١٦٦ لبنان.
- قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث مازن الوعر، دار طلاس، دمشق، المزة، ت: ٢٤٤١٢٦، ط١، ١٩٨٨م.

- قضايا ألسنية تطبيقية، د. ميشال زكريا، دار العلم للملايين، ط.١، يناير ١٩٩٣م.
- اللسان والإنسان، د. حسن ظاظا، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط٢، ١٤١٠هـ.
- اللسانيات واللغة العربية، د. عبد القادر الفاسي الفهري، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط١، ١٩٨٦م.
- اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٣، ١٩٨٥م.
- اللغة تدريساً واكتساباً، د. محمود أحمد السيد، الناشر: دار الفيصل الثقافية، ط١، ١٤٠٩هـ، السعودية، الرياض، ص.ب ٣، الرياض (١١٤١١).
- اللغة والتفسير والتواصل، د. مصطفى ناصف، الكويت، عالم المعرفة، رجب ١٤١٥هـ، يناير.
- اللغة والفكر، بول شوشار، ترجمة: متري شماس، المنشورات العربية تحت سلسلة ماذا أعرف رقم ١٢.
- اللغة والمجتمع. د. علي عبد الواحد وافي، دراسة نهضة – مصر للطبع والنشر، الفجالة – القاهرة.
- اللغة وسلوك الإنسان، تأليف: ديريك بيكر تون، ترجمة: الدكتور محمد زياد كبه، جامعة الملك سعود، النشر العلمي والمطابع، ص.ب٦٨٩٥٣، الرياض.
- اللغة، لفندريس، تعريب: عبد الحميد الداوخلي ومحمد قصاص، مكتبة

الأنجلو المصرية، لجنة البيان العربي.

- مبادئ اللسانيات العامة، أندريه مارتينيه، ترجمه الدكتور أحمد الحمو، المطبعة الجديدة، دمشق، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
- مدخل إلى اللغة واللسانيات. ترجمة د. حمزة المزيني من كتاب مقدمة في اللغة واللسانيات، لجون لاينْز، مجلة كلية الآداب، جامعة الملك سعود، المجلد ١٤، العدد الأول، عام ١٤٠٧ هـ- ١٩٨٧م، الناشر: عمادة شئون المكتبات جامعة الملك سعود.
- المدخل إلى علم اللغة، تأليف: كارل ديتر بوينتنج، ترجمة وتعليق: أ.د. سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م، مدينة نصر، القاهرة، ت:٢٢٧١٣٢٠٢
- مدخل في اللسانيات، صالح الكشو، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٥م.
- المسار الجديد في علم اللغة العام، د. وليد محمد مراد، مطبعة الكواكب بدمشق، ط.١، ١٤٠٦هـ.
- المعرفة اللغوية طبيعتها وأصولها واستخدامها، تأليف: نعوم تشومسكي، ترجمة وتعليق: د. محمد فتيح، طبع ونشر: دار الفكر العربي، ط.١، ١٤١٣هـ.
- المغني في أبواب التوحيد والعدل للقاضي أبي الحسن عبد الجبار، قوّم نصّه إبراهيم الأبياري، بإشراف د. طه حسين، القاهرة، عام ١٩٦١م.
- مقدمة لابن خلدون، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٦١م.
- الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون، د. ميشال زكريا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الحمراء، شارع إميل أده،

هاتف: ٨٠٢٤٢٨.

- مناهج البحث في اللغة. للدكتور تمام حسان، الناشر: مكتبة الإنجلو المصرية، ١٦٥، شارع محمد فريد – القاهرة، ١٩٩٠م.
- مناهج علم اللغة من هرمان بول إلى تشومسكي، تأليف: بريجيته بارتشت، ترجمة وتعليق: أ.د. سعيد البحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، النزهة مصر الجديدة.
- منطق أرسطو، تحقيق عبد الرحمن بدوي، نشر وكالة المطبوعات، الكويت، ودار القلم بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٩٨٠م.
- موسوعة اصطلاحات العلوم الإسلامية، المعروف: بكشاف اصطلاحات الفنون، للتهانوي، منشورات شركة خياط للكتب والنشر، بيروت، لبنان.
- النحو العربي والدرس الحديث، بحث في المنهج، د. عبده الراجحي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ص.ب ٧٤٩.
- نظرية اللغة الأدبية، تأليف خوسيه ماريا، ترجمة: د. حامد أبو أحمد، الناشر: مكتبة غريب، ٣٠١ شارع كامل صدقي، (الفجالة) ت:٩٠٢١٠٧.
- نظرية تشومسكي اللغوية، تأليف: جون لا ينز، ترجمة د. حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، ٤٠ شارع سوتير الإسكندرية، ط١، ١٩٨٥م.
- نقض أوهام المادية الجدلية. تأليف: الدكتور محمد سعيد البوطي، دار الفكر.